أنواع معجزات الرسل
ورد الشبه الواردة عليها
(الجزء الثاني)

د ٠ أسماء حسن أبو عوف(*)

أما الفصل الثالث : أنواع المعجزات ونماذج من معجزات الرسل.

وفيه مباحث :

المبحث الأول : أنواع المعجزات عند المعتزلة .

المبحث الثاني : أنواع المعجزات عند الأشاعرة.

المبحث الثالث : نماذج من معجزات الرسل، وبيان وجه دلالتها على الإعجاز.

ولأهمية وكثرة معجزات نبينا محمد ﷺ سوف أفرد لها فصلاً مستقلاً بها، إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع : بعض معجزات سيدنا محمد ﷺ ورد الشبهة الواردة عليها .

الفصل الخامس : تعريف المعجزة عند بعض الفلاسفة المسلمين.

وفيه مباحث :

المبحث الأول : المعجزة عند الفارابي .

المبحث الثاني : المعجزة عند ابن سينا .

المبحث الثالث : المعجزة عند ابن رشد .

المبحث الرابع : المعجزة عند إخوان الصفا .

(*) كلية اللغات والترجمة – جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

وفي هذا الفصل وضحت مفهوم المعجزة لديهم ، وتفسيرهم لها بأنها أمر لا يخرج عن الطبيعة وأسباب طبيعية .

الفصل السادس : الشبهة الواردة على المعجزات وعلى وجه دلالتها على صدق الرسول .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الشبه الواردة على المعجزات ورد المتكلمين عليها.

وقد عرضتها كما عرضها صاحب المواقف ، مدعمة ذلك بما ذكر في الكتب الأخرى وخاصة المقاصد .

المبحث الثاني : ما أثاره الفلاسفة حول المعجزات والرد عليهم .

ثم الخاتمة:

وذكرت فيها أهم النتائج التي حققها البحث وانتهى إليها .

ثم ثبت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث.

فإن قد وفقت فالحمد لله وحده ، وإن كنت قد جانبني الصواب في بعض المسائل التي تناولتها فالكمال لله وحده .

وإني لأرجو المولى . عز وجل ـ أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يكلل مسعاي بالتوفيق والرشاد .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،،

الفصل الثالث

أنواع المعجزات ونماذج من معجزات الرسل

تمهيد :

لقد أيد الله . تعالى . أنبياءه ورسله بآيات بينات ، وبراهين ساطعة جعلها شاهدًا على صدق دعواهم للنبوة .

وقد تنوعت الآيات والبراهين بتنوع الأزمنة والأقوام ، ولذلك جاءت بما يتلاءم مع الغالب على الناس في كل عصر من هذه العصور .

فنجد أن معجزة سيدنا موسى . عليه السلام . شبيهة بالسحر ، لما غلب في أهل زمانه ، وهي في الحقيقة مخالفة لهذا ، وكان الطب غالبًا في زمن سيدنا عيسى [1] . عليه السلام . فجاءت معجزاته من جنس ذلك ؛ حيث كانت تتمثل في إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، ولقد كانت البلاغة والفصاحة غالبة في عصر سيدنا محمد ﷺ ؛ ولهذا كانت معجزته الخالدة وبرهانه الساطع القرآن الكريم الذي أعجز العرب بفصاحته .

* *

(١) خالف الشيخ محمد أبو زهرة هذا القول مستدلاً عليه برأي الفيلسوف (الفرنسي دينان) الذي قرر أن اليهود ما كانوا على علم بالطب الطبيعي ، وقتئذ؛ وعقب الشيخ محمد أبو زهرة قائلاً : إن معجزاته كانت من هذا النوع لا لكونهم أطباء ، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح ، في أقوال بعضهم فجاءت معجزاته إعلانًا صادقًا للروح وبرهانًا قاطعًا على وجودها . راجع: محاضرات في النصرانية ص ٢١ ،٢٢ . طبعة ثانية، القاهرة . دار الفكر العربي سنة ١٣٦٨هـ . ١٩٤٩م .

المبحث الأول

أنواع المعجزات عند المعتزلة

إذا كان حجج الأنبياء على أممهم هو المعجز الدال على صدقهم؛ فالمعجز هو ما خرق عادة البشر بصفات لا تستطاع إلا بقدرة إلهية على أن الله – تعالى– خصهم بها تصديقًا لهم .

وتنقسم المعجزات عند المعتزلة إلى أنواع متعددة وسنتحدث عنها بالتفصيل الآتي :

النوع الأول : ما لا يدخل جنسه في مقدور العباد البتة :

كإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وكقلب العصا حية ، فما هذه حاله فقيام الدلالة على أن جنسه لا يدخل تحت مقدور العباد، ولا يجوز أن يدخل تحت مقدورهم البتة، يمنع من وقوع الحيلة فيه، ويوجب تميزه من الحيل، وزوال الشبه فيه ؛ لأن المحتال منا لا يجوز أن يحتال بأن يفعل ما يستحيل منه أن يفعله ، كما لا يجوز أن يحتال بالجمع بين الضدين ، وجعل القديم محدثًا والمحدث قديمًا ومتى قال إن الحيلة تصح فيه ، لا بأن يفعلها لكن بأن يفعل ما يقع عنده فهو في هذا الباب ، بمنزلة ما يقدر العباد على جنسه .

فإن قال به، فقد علم أن العادة لم تجر بأن يقلب الله العصا حية عند حيلة أحد من المحتالين ، ولا أن يعيد الميت وقد صارت عظامه نخرة حيًا بعد مدة من الزمان .

وإنما تقع الحيلة في أمور تلتبس من هذا الباب ، نحو القتل والإماتة؛ لأن ذلك يجري مجرى المقدور ، ونحو تخدير بعض الحيوان ببعض الأدوية ، ثم الاحتيال في إزالة ذلك ، فيعود إلى ما كان ، فيقدر أنه الآن صار حيًا بعد موته، والأمر بخلافه ، فإن التخدير لم يدخل في الإماتة ، بل كان حيًا على ما كان عليه ، وإنما تصور بصورة الميت لانقطاع الحركات ، وذلك لا يمتنع في بعض الحيوان،

فكذلك لا يمتنع في كثير منها أن يتولد عند أمور جرت العادة بمثله ، وهذا متميز من الأصل الذي قلنا إن الحيلة لا تسوغ فيه ، وأنه لا يحدث عند أسباب من العباد .

وهذا النوع من المعجزات "لو كان للحيل فيه مدخل لكان من قوى في السحر ، وكثرت معاناته له، أقرب إلى أن يعرف له حيلة ، فكانت السحرة مع تقدمها في أنواع السحر ، لا تعترف عند ظهور انقلاب العصا حية بنبوة موسى عليه السلام، ولا تخضع له ولا تذل ، وذلك يبين أنه لا مدخل للحيل في مثل ذلك . وكذلك القول في خضوع من كان في زمن عيسى . عليه السلام . لما ظهر عليه .

على أن أهل البصر بالصناعة المخصوصة ، ومن سعى فيها وتعب أعرف بما يسوغ فيه من الحيل من غيره .

وقد علمنا أن أهل المعرفة في الطب قد اعترفوا بأنه لا حيلة في إبراء الأبرص إذا استحكم ذلك وثبت ، فكيف يمكن ادعاء الحيلة فيه وفي إبرائه ، وفي إحياء الموتى ؟

ويبين ذلك أن أمر إحياء الموتى قد بلغ في بعده في العقول عن الحيل ، أن كثيرًا من الناس أحالوا فيه الإعادة وإن اعترفوا بابتداء الخلق .

فكيف يمكن أن يدعي في ذلك تجويز الحيل؟

وأما ما يذكره بعضهم من أن البرص قد يزول بالعلاج الشديد ، بأن يزول بعد مدة وزمان وتَشَدُّد في العلاج ، يبعد أن يبلغه الصبُور على الأمور .

وأما على الحد الذي تجعله معجزًا فلا أحد إلا ويعترف بتعذره وتعذر الحيل فيه.

أما النوع الثاني من المعجزات : ما يدخل جنسه في مقدور العباد :

وقد علمنا بالأخبار أن العادة لم تجر بوقوع مثله على وجه مخصوص منهم. ونعلم بضرب من الدليل، أن وقوعه على بعض الوجوه ، لا يصح منهم لفقد آلة، أو علم ، أو نقصان قدر، وما نعلم بالدليل أنه لا يصح منهم فعلى ضربين:

أحدهما : يشتركون في الوجه الذي لا يجوز ذلك منهم .

فهذا القسم وهذا النوع من المعجزات ما يدخل جنسه في مقدور العباد يجوز الحيل فيه ، وذلك نحو " تحريكهم الأجسام الثقال على بعد من غير ملامسة وإن كانت الحركات في مقدورهم ؛ لأن القدرة لا يصح أن يفعل بها على هذا الوجه، وكذلك لا يصح أن يسكنوا الأجسام الثقال في الهواء من غير عمد، ويتصرفوا في الجو من غير قرار .. . وإنما يصح مع بعض الآلات ، من الحي الثقيل الطيران في الهواء ، فيصير الهواء كالماء للسابح .

فأما مع فقد الآلة والثقل العظيم ، فذلك لا يتأتى من أحد، وكذلك الكتابة والكلام وما شاكلهما لا يقعان من العباد إلا بآلة مخصوصة؛ فمتى وقعا من دون آلة عُلم وقوعه من قبله تعالى ؛ لأن ذلك في حكم ما لا يقدرون عليه .

فهذا النوع من المعجزات نعلم بالدليل أن القادر بقدرة لا يصح أن يفعله إذا كانت الحال هذه، والحيل لا تسوغ فيه .

الضرب الثاني: من المعجزات فيما يدخل جنسه في مقدور العباد:

هو الذي لا يشتركون في سبب تعذره ، فالمتعلم من حاله أنه إنما يصح لآلة مخصوصة أو لزيادة قدر ... وذلك نحو الطيران في الهواء، والتصرف في الجو من دون قرار وجناح ، إلى ما شاكله . فهذا أيضًا مما دل الدليل على أنه لا يصح ، والحال هذه .

ولو جوزنا صحته أو تجويز الحيل فيه ، لم يوثق بالأدلة الدالة على أن القادر يحتاج في إيقاع الفعل محكمًا ، إلى أن يكون عالمًا ، وفي إيقاع كثير من الأفعال إلى آلات مخصوصة .

وقد نعلم بالعادة أنه لا يصح على بعض الوجوه وقوعه من العباد ، نحو الجبال الراسيات ، وقلب المدن ، وطفر البحار ، وقطع المكان البعيد في الوقت اليسير،إلى غير ذلك ؛ لأن عند الاختيار، قد عرفنا، بالعادة أن قدرة العباد لا تقدر على ما ذكرناه ولا يمكنهم بالآلات [١] .

وما يقع من المشعوذين والمحتالين فإنما يكون بآلة وعلى تجربة ومعاناة وتعب وتكلف شديد، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يرى المعتزلة أن المعجزات منها ما هو حسي ، ومنها ما هو عقلي .

فالحسي عندهم هو : الذي يمكن إدراكه بالبصر؛ كناقة صالح ، ونار إبراهيم ، وعصا موسى، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام.. .

والعقلي : هو الذي يدرك عن طريق البصيرة وذلك مثل الإخبار

عن المغيبات؛ سواء أكانت تعريضًا أم تصريحًا ، وكذلك الإتيان بحقائق العلوم التي حصلت دون تعلم .

وهذا النوع من المعجزات العقلية لا يدركه سوى أصحاب العقول الراجحة فيؤثر فيهم أكثر من تأثيره على العامة[٢].

وعلى هذا التقسيم : جعل المعتزلة آيات وبراهين سيدنا محمد ﷺ داخلة ضمن النوع الأول : وهو ما لا يقدر العباد على فعله :

١- كإشباعه العدد الكبير والجم الغفير من الطعام اليسير، وأحاديث البركة في الطعام كثيرة ، صحيحة مشهورة ، وهي متواترة أيضًا في جوهرها: " عن أبي

---

(١) المغني . عبد الجبار، جـ١٥ التنبؤات والمعجزات، ص ٢٦٢، ٢٦٣ ، ص ٢٦٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق، جـ١٥ ص ٢٠٢ .

هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : " لما كان يوم غزوة تبوك ، أصاب الناس مجاعة ، فقال عمر : يا رسول ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم بالبركة ، فقال نعم .. فدعا بنطع ، فبسط ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء ، بكف ذرة ، ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : خذوا في أوعيتكم .. فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه .. قال : فأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله .. لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة [1] .

" فهذا العمل لا يتم إلا بزيادة أجزاء الطعام ، وهذا مما لا يتمكن منه البشر ، ولذا فلا بد أن يكون من فعل الله ـ تعالى ـ الذي أظهره على نبيه ليدل على صدقه [2] .

٢- ويدخل ضمن هذا الضرب أيضًا إجابة الشجرة له حين دعاها ، ثم عودتها إلى مكانها مرة أخرى [3] ، فهذه المعجزة مما لا يدخل في قدرة العباد على فعله ، ولهذا قد ورد شبهة مضمونها : أنه ربما كان معه جاذب أو دافع نقلها من مكانها ثم أعادها مرة أخرى .

وأجاب القاضي بقوله : لو ثبت وجود الدافع أو الجاذب لرأي الناس، ذلك مع شدة حرصهم على تفحيص أحواله ، كما أنه لو صح ذلك – أي اجتمع الجاذب والدافع – لوجب أن تقف الشجرة في مكانها، ولم تتحرك لاستواء قوة الدافع والجاذب[4].

---

(١) رواه مسلم نقلاً عن دلائل النبوة، د/ عبد الحليم محمود، ص ٢٦٢ ، ط الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م ـ دار الكتاب المصري اللبناني .

(٢) انظر : شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار، ص ٥٩٥ .

(٣) انظر : المرجع السابق، ص ٥٩٦ .

(٤) انظر : المرجع السابق، ص ٥٩٦ .

٣ـ كما أدرج المعتزلة أيضًا ضمن الضرب الأول معجزتين، هما: تسبيح الحصى بين يديه، وحنين الجذع كحنين الناقة لولدها(١).

أما عن تسبيح الحصى بين يديه، فقد قال أبو ذر: "كنت رجلاً أتتبع خلوات رسول الله ﷺ فرأيته يومًا جالسًا وحده ، فاغتنمت خلوته، فجئت حتى جلست إليه، فجاء أبو بكر فسلم ، ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ، ثم جلس عن يمين عمر ، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات ، أو قال تسع حصوات ، فأخذهن فوضعهن في كفه ، فسبحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل.. " الحديث(٢).

وأما عن حنين الجذع وأنينه فقد ثبت ذلك بالحديث الصحيح الذي رواه جابر ابن عبد الله – رضي الله عنهما – : " أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا قال : إن شئتم . فجعلوا له منبرًا ، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه تئن أنين الصبي الذي كان يسكن ، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها(٣).

فهاتان المعجزتان – البرهانان – من ضمن ما لا يقدر العباد عليه وقد أورد المنكرون عليها شبهة قالوا : بأنه ربما كان في الجذع خروق أو فتحات نفذ من خلالها الريح فنتج عن ذلك الصوت الشبيه بالحنين .

---

(١) انظر : المرجع السابق، ص ٥٩٦ ، ٥٩٧ .

(٢) أخرجه البيهقي جـ٦ ص ٥٤ ،٦٥ ، والخبر ذكره ابن كثير ٦: ١٣٢ والطبراني في الأوسط.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : م٢ جـ ٤ ص ١٧٣ ، وله طرق متعددة كما أخرجه البيهقي جـ٦ ص ٦٦ وابن ماجه في باب إقامة الصلاة .

وأجاب القاضي عليهم بقوله : لو صح ذلك لكان يجب سماع هذا الصوت إما قبل ذلك أو بعده ، وهذا لم يحدث فعلموا بأنه معجزة[1].

٤- ومن أنواع معجزاته ﷺ أيضًا إخباره عن غيوب ستحدث بعد وفاته .

وبما أن المعتزلة قد منعوا تأخر المعجزة عن الدعوى ، بحيث لا تظهر بعد موت النبي ؛ لأن المعجزة في هذه الحالة لا تتعلق بالدعوى ، فيكون حكم الدعوى قد بطل ، وهو وجوب القبول من المدعي والانقياد له .

إلا أنهم قد استثنوا من ذلك: أنه لو ثبت صدق المدعي للنبوة بمعجزة أخرى عقيب الدعوى ثم تأخرت معجزات أخرى، فهذا جائز .

وبناء على ذلك : فإن مجموعة البراهين - المعجزات - التي تندرج تحت إخبار الرسول ﷺ بأمور ستحدث بعد وفاته تُعَدُّ معجزات . كإخباره لعمار بن ياسر: ستقتلك الفئة الباغية[2]، والمعجزات الأخرى التي من هذا القبيل[3].

وأما ما سبق الأنبياء من ظهور بعض الخوارق كانتقام الله من أبرهة وجيشه، وإظلال الغمام بالنسبة للرسول ﷺ ، فالمعتزلة لا تعد ذلك إرهاصات لهم ، أو معجزات تتعلق بهم؛ حيث قرروا بأن ما صحت أخباره ورواياته عن طريق أصحاب المغازي عن الرسول في حال صغره وطفولته فيجب تأويله ، وحمله على أنه معجزة لنبي آخر في هذا الوقت عرف ذلك النبي أم لم يعرف . وقد استثنوا من ذلك كلام سيدنا عيسى - عليه السلام - في المهد مؤكدين أنه معجزة خاصة به للدلالة على نبوته وذلك بناء على قوله تعالى : ﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ**

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة . القاضي عبد الجبار ص ٥٩٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن حديث خالد بن الحارث والنضر بن شميل عن شعبة في كتاب الفتن ، والبيهقي في الدلائل جـ٦ ص ٤٢٠ وأحمد في مسنده (٤/ ٣١٩) والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٩) .

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة القاضي عبد الجبار ص ٥٧٠ ، وقارن توضيح العقيدة د/ عبد العزيز سيف النصر ص ٢٨٣ ،٢٨٤ ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٧٩م ، مصر .

الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [١]، فقد قارنت المعجزة الدعوى ، فعند المعتزلة : لا يمتنع أن يجعل الله – تعالى – عقل الصبي كاملاً في حال صغره، ويبلغ في الفضل مبلغ الأنبياء، مستدلين على ذلك بآدم– عليه السلام – في بداية خلقه ، حيث خلقه الله في الابتداء كامل العقل[٢].

وذلك بخلاف ما ذهب إليه الأشاعرة؛ حيث ذهبوا إلى أن ما يظهر على الأنبياء قبل بعثتهم يُعَدُّ إرهاصات أي تأسيسًا ومقدمات لبعثة هذا النبي؛ حيث يقول صاحب المقاصد :

" وعن الثاني أن عدد الإرهاصات من جملة المعجزات إنما هو على سبيل التغليب والسببية، والمحققون على أن خوارق العادات المتعلقة ببعثة النبي إذا كانت متقدمة، فإن ظهرت منه فإن شاعت وكان هو مظنة البعثة كما في حق نبينا . عليه السلام . فإرهاص، أي تأسيس لقاعدة البعثة "[٣].

---

(١) سورة مريم آية : ٣٠ .

(٢) انظر: المغني . عبد الجبار جـ١٥ ، ص ٢١٥ .

(٣) شرح المقاصد التفتازاني جـ٢ ، ص ١٣٠.

المبحث الثاني

أنواع المعجزات عند الأشاعرة

وبناء على تعريف المعجزة وشروطها – عند الأشاعرة؛ فإن المعجزات عندهم نوعان :

أحدهما : وجود فعل غير معتاد مثله .

الثاني : تعجيز الفاعل بشيء معتاد عن فعل مثله كمنع زكريا عن الكلام ثلاث ليال بعد أن كان معتادًا له للدلالة على صحة ما بُشر به من الولد .

وأما ما كان منها على الوجه الأول : وهو وجود فعل غير معتاد مثله، فنوعان:

أحدهما : لا يدخل تحت قدرة من هو معجزة له وفيه ، ولا تحت قدرة غيره من الخلق – أي لا يدخل تحت قدرة الرسول وهو معجزة له ولا تحت قدرة الخلق ولا يقدر عليه غير الله – عز وجل – ، وذلك مثل اختراع الأجسام والألوان والحواس، وإحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص، وقلب العصا حية، ونحو ذلك .

النوع الثاني منه :

لا يدخل تحت قدرة من هو معجزة فيه – في نفس ألفاظ القرآن، وله على الوجه الذي أظهره الله – تعالى – عليه ، وإن دخل مثل أجزائه وجنسه تحت قدرة العباد بأن يكتسبوه في أنفسهم ، ويستحيل فيه فعله في غيرهم لقيام الدلالة عندنا على إبطال التولد .

وهذا مثل الكلام المنظوم نظم القرآن في فصاحته وبلاغته المفارقة لبلاغات البلغاء ، وإن كانت جنس العبارات ومفردات الألفاظ ، وبعض أنواع التركيب منها مقدورًا للعباد[1].

---

(١) البغدادي، أصول الدين، ص ١٧١، ١٧٢.

فالمعجزات منها ما هو من أفعال الله .تعالى . ، لا يقدر على جنسها غيره كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وقلب العصا حية ، وفلق البحر، وإمساك الماء في الهواء ، وانشقاق القمر ، وتسبيح الحصى ، وإخراج الماء من بين الأصابع ، ونحو ذلك .

ومنها ما هو خلق لله – تعالى – وكسب لصاحب المعجزة، كإقدراه على الطفر إلى السماء ، وعلى قطع المسافات البعيدة في الساعات القصيرة[1].

وإذا تقرر أن المعجز هو من ناحية خرق العادة ، فقد ينقسم أقسامًا عدة باعتبارات متغايرة :

فباعتبار كونها خارقة للعادة وفوق قدرة العباد، تنقسم إلى عشرة أقسام :

الأول : ما يخرج جنسه عن قدرة البشر . كاختراع الأجسام ، وقلب الأعيان، وإحياء الموتى ، فقليل هذا وكثيرة معجز لخروج قليله عن القدرة كخروج كثيرة .

الثاني : ما يدخل جنسه في قدرة البشر ولكن يخرج مقداره عن قدرتهم: كطي الأرض البعيدة في المدة القصيرة بلا استعانة بآلة أو ما شاكلها، فيكون معجزًا لخرق العادة، واختلف المتكلمون في المعجز منه؛ فعند بعضهم أن ما خرج عن القدرة منه يكون هو المعجز، وعند آخرين أن جميعه معجز لاتصاله بما لا يتميز.

الثالث : ظهور العلم بما خرج عن معلوم البشر كالإخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزًا " بشرطين " :

الأول : أن يتكرر حتى يخرج عن حد الاتفاق .

الثاني : أن يتجرد عن سبب يستدل به عليه .

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧٤ .

الرابع : ما خرج نوعه عن مقدور البشر وإن دخل جنسه في مقدورهم، كالقرآن الكريم في خروج أسلوبه عن أقسام الكلام . فيكون معجزًا بخروج نوعه عن القدرة، فيكون العجز مع القدرة على آلته من الكلام أبلغ في المعجز .

الخامس : ما يدخل في أفعال البشر ويفضي إلى خروجه عن مقدور البشر كالبرء الحادث عن المرض، والزرع الحادث عن البذر ؛ فإن برء المرض المزمن لوقته . واستحصاد الزرع المتآكل قبل أوانه كان بخرق العادة معجزًا لخروجه عن القدرة .

السادس : عدم القدرة عما كان داخلاً تحت القدرة كإنذار الناطق بعجزه عن الكلام، وإخبار الكاتب بعجزه عن الكتابة؛ فيكون ذلك معجزًا يختص بالعاجز ولا يتعداه ؛ لأنه على يقين من عجز نفسه، وليس غيره على يقين من عجزه .

السابع : إنطاق حيوان أو حركة جماد؛ فإن كان باستدعائه، أو عن إشارته كان معجزًا له .

وإن ظهر غير استدعاء ولا إشارة لم يكن معجزًا له وإن خرق العادة؛ لأن اختصاصه به ليس بأولى من اختصاصه بغيره وكان من نوادر الوقت وحوادثه .

الثامن : إظهار الشيء في غير زمانه؛ كنسج العنكبوت على باب الغار في زمن يسير كان يحتاج إلى شهور ، وبيض الحمام كذلك بدون أوان مما ليس في مقدور أحد ، وأيضًا كإظهار فاكهة الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ، فإن كان استبقاؤهما في غير زمانهما ممكنًا لم يكن معجزًا ، وإن لم يكن استبقاؤهما كان معجزًا سواء بدأ بإظهاره أم طولب به .

التاسع : انفجار الماء، وقطع الماء المنفجر، إذا لم يظهر بحدوثه أسباب من غيره . فهو من معجزاته لخرق العادة .

العاشر : إشباع العدد الكثير من الطعام اليسير وإرواؤهم من الماء القليل، .يكون معجزًا في حقهم، وغير معجز في حق غيرهم، لما قدمناه من التعليل .

وهذه الأقسام ونظائرها الداخلة في حدود الإعجاز متساوية الأحكام في ثبوت الإعجاز وتصديق مظهرها على ما ادعاه من النبوة . وإن تفاوت الإعجاز فيها وتباين، كما أن دلائل التوحيد قد تختلف في الظهور والخفاء، وإن كلن في كل منها دليل[1].

وباعتبار كونها ثابتة أو غير ثابتة تنقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : ما ثبت بأخبار الاستفاضة ، مثل : في الأحكام الشرعية أعداد الصلوات .

الثاني : ما ثبت بأخبار التواتر ، مثل : نصب الزكاة.

وقد ثبتت معجزة القرآن بهما .

الثالث : ما ثبت بأخبار الآحاد المعدمة بالقرائن .

الرابع : ما ثبت بأخبار الآحاد المجردة عن القرائن .

وباعتبار كونها قولاً أو غيره ؛ تنقسم إلى ثلاثة أقسام[2]: هي قول وفعل وترك .

وسأتناول هذه الأقسام بشيء من التفصيل :

القسم الأول : أن تكون قولاً :

وذلك كالقرآن الكريم الذي أيد الله . تعالى . به سيدنا محمدًا ﷺ ، وطلب من العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة ، أن يأتوا بمثله فعجزوا .

قال تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾ [3]. وأشار الرازي عند تفسيره لهذه الآية "بأنه تحداهم بكل القرآن" [4].

---

(١) راجع أعلام النبوة، الماوردي، ص ٢٠: ٢٨ ، ط الثانية ، دار الكتب العلمية . بيروت، لبنان ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .
(٢) المرجع السابق، ص ٩٢ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٨٨ .
(٤) راجع التفسير الكبير الرازي، م٩ ، جـ١٧ ص ٧٩ .

ثم طلب منهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا قال تعالى: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [1].

وقد ذكر الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية : قوله : "مفتريات " دليل وجه الإعجاز وهو الفصاحة[2]؛ لأن فصاحة الفصيح تظهر بالكلام ، وهو الرأي المختار في وجوه إعجاز القرآن عنده وعند الأكثرين كما ذكر ، وذكر بأن لو كان وجه الإعجاز هو كثرة العلوم أو الإخبار بالغيوب أو عدم التناقض لم يكن لقوله " مفتريات " معنى[3].

ثم طلب منهم أن يأتوا بأقصر سورة منه فعجزوا، قال تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[4].

وإشارة الإمام الرازي أثناء تفسيره لهذه الآية " طلب منهم معارضة سورة واحدة من أي إنسان ، سواء تعلم العلوم ، أم لم يتعلمها ؛ لأن السورة في نفسها معجز ، وأن الخلق مهما تعلموا وطالعوا وتفكروا ، فإنه لا يمكنهم الإتيان بمعارضة سورة واحدة . ولا شك أن هذا ترتيب عجيب في باب التحدي[5].

---

(١) سورة هود آية : ١٣ .

(٢) سيأتي التفصيل في وجوه إعجاز القرآن في كتاب مستقل إن شاء الله .

(٣) انظر: التفسير الكبير الرازي، م ٩ جـ١٧ ، ص ١٥٦ .

(٤) سورة يونس آية : ٣٨ .

(٥) وذكر الرازي أن المعتزلة تمسكوا بهذه الآية على أن القرآن مخلوق ومرادهم أنه طلب منهم الإتيان بمثله وعجزهم عنه ظهر كونه حجة من عند الله على صدقه ، وهذا إنما يمكن لو كان الإتيان بمثله صحيح الوجود في الجملة، ولو كان قديمًا لكان الإتيان بمثل القديم محالاً في نفس الأمر فوجب ألا يصح التحدي وأجاب الرازي بقوله : إن القرآن اسم يقال بالاشتراك على الصفة القديمة بذات الله – تعالى – وعلى هذه الحروف والأصوات وهي محدثة مخلوقة والتحدي إنما وقع بها لا بالصفة القديمة ، انظر: التفسير الكبير الرازي م٩ ج١٧ ص ٧٨ ،٧٩ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩٢م .

والمعجزات القولية تشتمل على إخبار الأنبياء والرسل عن بعض الغيبيات ، وقد حدثنا القرآن الكريم عن بعض الأنبياء والرسل ، الذين اختصهم الله بهذا النوع من المعجزات كسيدنا عيسى ويوسف – عليهما السلام – .

فأما سيدنا عيسى – عليه السلام – فقد حدثنا القرآن الكريم عن إخباره أصحابه وتلاميذه بما كانوا يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ، قال تعالى : ﴿ ... **وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ** .. . ﴾ (1).

وقد أشار الإمام الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية فقال : "وروي أنه أحيا سام بن نوح ، وهم ينظرون فقالوا: هذا سحر فأرنا آية ، فقال: يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا " (2).

ويقول الإمام الرازي فى تفسيره لهذه الآية وهي إخباره عن الغيوب مسألتين :

المسألة الأولى : قولان :

أحدهما : أنه عليه – الصلاة والسلام – كان أول مرة يخبر عن الغيوب روي السدى : أنه كان يلعب مع الصبيان ، ثم يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم ، وكان يخبر الصبي بأن أمك قد خبأت لك كذا فيرجع الصبي إلى أهله ويبكي إلى أن يأخذ ذلك الشيء ، ثم قالوا لصبيانهم : لا تعلبوا مع هذا الساحر ، وجمعوهم في بيت ، فجاء عيسى – عليه السلام – يطلبهم ، فقالوا له: ليسوا في البيت ، فقال فمن في هذا البيت ؟ قالوا : خنازير، قال عيسى – عليه السلام –: كذلك يكونون فإذا هم خنازير .

القول الثاني : إن إخباره بالغيوب ظهر وقت نزول المائدة؛ وذلك لأن القوم نهوا عن الادخار، ولكنهم كانوا يخزنون ويدخرون، فكان عيسى – عليه السلام– يخبرهم بذلك(3).

(1) سورة آل عمران من آية : ٤٩ .
(2) الكشاف الزمخشري، جـ١ ، ص ٤٣١ ، دار الفكر ، بدون تاريخ .
(3) راجع التفسير الكبير، الرازي م٤ جـ٨ ، ص ٥١ .

أما بالنسبة لسيدنا يوسف – عليه السلام – فمن معجزاته القولية إخباره ببعض الغيوب كإخبار المسجونين بأنواع المطعومات التي ستأتيهم ، وكذا كنهه ولونه وعاقبته من حيث ضرره ونفعه .

وأخبرنا القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ** ﴾ [1].

ويقول الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية :" أنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ، ويؤكد لهما بأن تأويله للرؤيا وإخباره بالغيوب من قبل الوحي والإلهام لا من قبيل التكهن والتنجيم[2].

وقد أشار الرازي إلى مثل هذا المعنى عند تفسيره لنفس الآية .

وأيضًا إخباره عن المجاعة التي تعرضت لها البلاد في عصره، وأخبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ** ﴾ [3].

وجاء في تفسير الزمخشري لهذه الآيات قال : تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين خصبة ، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ، ثم بشرهم بعد الفراغ

---

(١) سورة يوسف آية : ٣٧ .

(٢) راجع: الكشاف الزمخشري م٢ ص ٣٢٠ ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

(٣) سورة يوسف الآيات، ٤٦ : ٤٩ .

من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركًا خصيبًا كثير الخير، وذلك من جهة الوحي [1].

وقد أشار الإمام الرازي إلى أن إخباره عن المجاعة التي تعرضت لها البلاد خلال تأويله لرؤيا الملك يعد إعجازًا؛ وذلك لأن الله . تعالى . أعجز الكهنة والمعبرين عن تأويل الرؤيا واصفين إياها بأنها من قبيل الأضغاث[2] مع أنها حقيقة .

وقد ذكر الإمام الرازي أن هناك وجهًا آخر يؤكد على أن إخباره بذلك كان إعجازًا ، وهو أن السنة الزائدة على السبعتين ، لم يحصل في المنام شيء يدل عليها ، وذلك مما يؤكد على أن تعبيره حصل عن طريق الوحي[3].

وفي نهاية عرض بعض الآيات والبراهين – المعجزات – القولية لبعض الأنبياء ، كسيدنا عيسى وسيدنا يوسف – عليهما السلام –. فإنني أرى أن هذه المعجزات القولية التي تشمل إخبار الأنبياء ببعض الغيوب من الأمور المتفق عليها بين جميع علماء الأمة ومنهم المعتزلة كالقاضي عبد الجبار والزمخشري، والأشاعرة كالباقلاني والإمام الرازي .

القسم الثاني من هذا التقسيم " أن تكون فعلاً " وهي المعجزات الفعلية الحسية.

وهذا النوع يشترك فيه جميع الأنبياء والرسل ،وخاصة الذين ذكروا في القرآن الكريم ، بحيث لم يذكر نبي إلا وقد علم له معجزة مخصوصة من هذا النوع[4] ما عدا بعض الأنبياء كشيث وإدريس على سبيل المثال فلم يذكر لهما القرآن معجزة .

---

(١) الكشاف الزمخشري، جـ٢ ، ص ٣٢٥ .

(٢) انظر: التفسير الكبير،الرازي ، م٩ جـ١٨ ، ص ١٢٠ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) راجع: أصول الدين، البغدادي، ص١٨٠ .

وفيما يلي سأتناول في مبحث مستقل ذكر بعض المعجزات الحسية لسيدنا موسى وسيدنا عيسى . عليهما السلام . ثم أختتم تلك المعجزات الحسية الفعلية بذكر بعض النماذج الجلية من معجزات رسولنا الكريم ﷺ في فصل مستقل لأهمية معجزاته ﷺ وكثرها.

* *

المبحث الثالث

نماذج من معجزات الرسل

وبيان وجه دلالتها على الإعجاز

أما عن براهين – معجزات – سيدنا موسى – عليه السلام، فهي كثيرة ومتنوعة وتعَدُّ العصا واليد من أقوى البراهين له ؛ لأنهما اللتان استدل بهما موسى – عليه السلام – على نبوته عندما طلب منه فرعون الدليل على صحة ما يدعى . وكانت مناسبة لأهل مصر ؛ لأن السحر والكهانة كانا فيهم ،وقد كان للسحر مكانة عندهم، وبقية الآيات والبراهين كانت متعلقة بالزرع وآفاته وهم أهل زرع وضرع من أقدم العصور[1].

قد وصلت إلى تسع آيات حسية، قال تعالى:﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا * قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا** ﴾ [2].

ويقول صاحب التفسير الكبير في برهان اليد والعصا عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ [3]: اعلم أن فرعون لما طالب موسى . عليه السلام . بإقامة البينة على صحة نبوته بين الله – تعالى – أن معجزته كانت قلب العصا ثعبانًا، وإظهار اليد البيضاء .

والكلام في هذه الآية يقع على وجوه :

---

(١) انظر : المعجزة الكبرى، القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ص ١١ ، بدون تاريخ.

(٢) سورة الإسراء : الآيات ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) سورة الأعراف: الآيات ١٠٧ ، ١٠٨ .

الأول: أن جماعة الطبيعيين ينكرون إمكان انقلاب العصا ثعبانًا ، وقالوا: الدليل على امتناعه أن تجويز انقلاب العصا ثعبانًا ، يوجب ارتفاع الوثوق عن العلوم الضرورية وذلك باطل ، وما يفضي إلى الباطل فهو باطل .

إنما قلنا : إن تجويزه يوجب ارتفاع الوثوق عن العلوم الضرورية ، وذلك لأنه لو جوزنا أن يتولد الثعبان العظيم من العصا الصغيرة لجوزنا أيضًا أن يتولد الإنسان الشاب القوي عن التبنة الواحدة ، أو الحبة الواحدة من الشعير ، ولو جوز ذلك لجوزنا في هذا الإنسان الذي نشاهده .

وأما تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ ، أي: أخرجها من جيبه أو من جناحه وكان لها نور ساطع يضيء ما بين السماء والأرض . ولما كان البياض كالعيب بيّن الله – تعالى – في هذه الآية أنه كان من غير سوء، وكان بياضها بياضًا عجيبًا خارجًا عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب [1].

ونجد أن الزمخشري عند تفسيره لهذه الآية السالفة الذكر يقرر ما سبق؛ إذ يقول قوله : ﴿ **ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ** ﴾ ظاهر أمره لا شك أنه ثعبان ، كما أنه ليس من قبيل السحر القائم على التمويه والخداع ولكنه من قبيل المعجزات[2].

أما معجزة اليد فقد تناولها الزمخشري تحت تفسيره لقوله تعالى : ﴿**وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ [3]، حيث قال : " إن موسى أظهر لفرعون يده وقال له : ما هذه ؟ قال : يدك . ثم أدخلها جيبه وعليها مدرعة صوف، ونزعها فإذا هي بيضاء بياضًا نورانيًا غلب شعاعها شعاع الشمس ، واجتمع الناس للنظر إليه

(١) راجع التفسير الكبير الرازي، م٩ جـ١٤ ، ص ١٥٧ : ١٦٠ .

(٢) راجع الكشاف الزمخشري، جـ٢ص ١٠١ .

(٣) سورة الأعراف، آية : ١٠٨ .

كما يجتمعون للعجائب ، مشيرًا إلى أنها لا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها بياضًا عجيبًا خارجًا عن العادة(١).

فبرهان اليد والعصا من أقوى براهين سيدنا موسى – عليه السلام – ونعتبر العصا من أعظم براهينه الدالة على صحة نبوته؛ لأنه – عليه السلام – خاف من حملها حينما انقلبت ثعبانًا لأول مرة ، وخوفه هذا دليل على صدقه وصحة نبوته ؛ لأن الساحر يعلم أن الذي أتى به تمويه فلا يخاف ، ولذلك قال السحرة بعد أن شاهدوا برهان موسى – عليه السلام – وهو (انقلاب العصا ثعبانًا) هذا خارج عن السحر ، بل هو أمر إلهي، فاستدلوا به على أن موسى – عليه السلام – نبي صادق من عند الله – تعالى – ووجدوا معجزة موسى – عليه السلام – خارجة عن حد السحر ، علموا أنه من المعجزات الإلهية ، لا من جنس التمويهات البشرية .

وقد أشار الرازي إلى أن المتكلمين قالوا بأن هذه الآية من أعظم الدلائل على فضيلة العلم؛ لأن السحرة لو أنهم ما كانوا كاملين في علم السحر لما قدروا على ذلك الاستدلال ولأجل كمالهم في ذلك العلم . السحر . انتقلوا من الكفر إلى الإيمان (٢).

وقال الزمخشري: " قال السحرة بعد أن شاهدوا معجزة موسى – عليه السلام – : لو كان ما صنع موسى سحرًا لبقيت حبالنا وعصينا ، ولم تفقد، أما وأنها قد فقدت فثبت أن هذا بخلق الله وتقديره(٣).

ومما يؤكد برهان العصا واليد أنهما من فعل الله . تعالى . قوله تعالى : ﴿... **فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ** ... ﴾ الآية(٤).

---

(١) راجع: الكشاف الزمخشري، جـ٢ ، ص ١٠٢.
(٢) انظر: التفسير الكبير الرازي، م٧ جـ١٤ ، ص ١٦٨ .
(٣) راجع: الكشاف الزمخشري، جـ٢ ، ص١٠٣ .
(٤) سورة القصص من آية : ٣٢ .

وقال في تفسيرها " الرازي والزمخشري: " حجتان نيرتان على صدقه في النبوة[١].

وأما بقية براهين وآيات . معجزات . سيدنا موسى . عليه السلام . وهي تسع آيات كما جاء في الآية التي أشارت إلى ذلك؛ وقد أخبرنا القرآن الكريم في قوله – عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ ثم قوله عز من قائل: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ** ﴾ [٢] فإن هاتين الآيتين الكريمتين في سورة الأعراف تشتملان على سبع آيات وبجانب آيتي العصا واليد فتصبح تسع آيات التي ذكرها– عز وجل–في سورة الإسراء في قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ...** ﴾ [٣].

ولقد أشار الرازي عند تفسيره لهذه الآية الكريمة أن الله . عز وجل . ذكر في القرآن أشياء كثيرة من آيات موسى . عليه السلام . حتى أصبح عددها ست عشرة آية، وقد فصلها أثناء تفسيره لهذه الآية الكريمة، وذكر من ضمنها :

١ – إزالة العقدة من لسانه .

٢ – وانقلاب العصا حية .

٣ – أن العصا بعد انقلابها حية تلقفت حبالهم وعصيهم .

٤ – اليد البيضاء .

---

(١) راجع التفسير الكبير، م١٢ ، جـ٢٤ ص ٢١٢ ، وقارن الكشاف الزمخشري، جـ٣، ص ١٢٥ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٣٠ ، وآية : ١٣٣ .

(٣) سورة الإسراء من آية : ١٠١ .

٥ – ثم ذكر الخمس آيات المذكورة في قوله تعالى في سورة الأعراف آية ١٣٣ ، وبذلك تكون تسع آيات، ثم الآية العاشرة كما أخبر بها الرازي في تفسيره شق البحر في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ** .. . ﴾ [١].

والآية الحادية عشر: الحجر، وهو قوله: ﴿ **أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ** ﴾[٢].

أما الآية الثانية عشرة فهي : إظلال الجبل وهو قوله تعالى : ﴿ **وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ** ... ﴾ [٣].

والآية الثالثة عشر: إنزال المن والسلوى عليه وعلى قومه، والآيتان الرابعة عشر والخامسة عشر، المذكورتان في سورة الأعراف في قوله ـ عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ** .. . ﴾ [٤].

ثم الآية السادسة عشر، وهي : الطمس على أموالهم .

وقد ذكر الرازي أن تخصيص التسعة بالذكر لا يقدح فيه ثبوت الزائد عليه؛ لأن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد .

وذكر أن المفسرين اتفقوا على سبعة منها، وهي: العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، أما الاثنان الباقيان لكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما [٥].

أما عن معجزات سيدنا عيسى – عليه السلام – الحسية؛ فيأتي على رأسها إبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ، وتصوير الطين كهيئة الطير ، وبنفخه فيه يكون طيرًا بإذن الله ، إلى آخر هذه المعجزات التي يمكن الحديث عن بعضها بالتفصيل فيما يلي :

(١) سورة البقرة من آية : ٥٠ .
(٢) سورة الأعراف من آية : ١٦٠ .
(٣) سورة الأعراف من آية : ١٧١ .
(٤) سورة الأعراف من آية : ١٣٠ .
(٥) انظر التفسير الكبير للرازي، م١١ جـ٢١، ص ٥٤ .

وقد ذكر القرآن الكريم معجزات عيسى . عليه السلام . فقال عز من قائل: ﴿ **إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ * إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ (١).

فالآيات الكريمة السابقة ذكرت أربعة براهين – معجزات – لسيدنا عيسى – عليه السلام – .

الأولى : أن عيسى – عليه السلام – كان يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرًا بإذن الله . وقد تحدث الزمخشري عن هذا البرهان عند تفسيره لقوله تعالى – عز وجل – : ﴿ **وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ** .. . ﴾ (٢).

---

(١) سورة المائدة الآيات ١١٠ : ١١٥ .

(٢) سورة آل عمران من آية : ٤٩ .

حيث ذكر صاحب الكشاف أن قوله : " أني أخلق " أي أقدر لكم شيئًا مثل صورة الطير فأنفخ في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيصير طيرًا كسائر الطيور حيًا ، وقيل إنه لم يخلق غير الخفاش(١).

وقد أشار الرازي عند تفسيره لهذه الآية "أني أخلق" .. إلى أن قوله "خلق" لا يراد بها الإيجاد والإبداع ؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن كل ما في الأرض قد أوجده الله تعالى . في الزمان الماضي، وذلك باطل بالاتفاق؛ ولهذا وجب حمل الخلق على التقدير حتى يصح الكلام ، وأن الله – تعالى – قدر في الماضي كل ما وجد الآن في الأرض(٢).

هذا وقد ثار خلاف بين العلماء حول قضية نفخ عيسى . عليه السلام . في الطين الذي يماثل الطير ؛ حيث ذهب بعضهم إلى أن الله . تعالى . أودع في نفس عيسى – عليه السلام – خاصية بحيث أنه متى نفخ في شيء كان نفخه موجبًا لصيرورة ذلك الشيء حيا ، وذلك لأنه تولد عن نفخ جبريل – عليه السلام – في مريم وجبريل روح محض ، فكانت نفخة عيسى سببًا لحصول الأرواح في الأجساد.

بينما أصحاب الرأي الآخر يرون أن : الأمر ليس كذلك، بل أن الله– تعالى – كان يخلق في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى – عليه السلام – فيه على سبيل إظهار المعجزات .

ويرى الإمامان الرازي والزمخشري أن الرأي الثاني هو الصحيح؛ وذلك لأن الله – تعالى– كرر قوله: " بإذن الله، "أي أن كل الآيات والبراهين التي ظهرت على يد عيسى – عليه السلام – لم تنبع من قدرته الذاتية ، ولكن كل ذلك كان بأمر الله – تعالى – وإذنه في ذلك (٣).

---

(١) راجع: الكشاف الزمخشري، جـ١ص ٤٣١ ، دار الفكر ، بدون .
(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي، م٤ ، جـ٨ ص ٤٩ .
(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي، م٣ ، جـ٨ ص ٥٠ ، وقارن الكشاف للزمخشري، جـ١ ص ٤٣١ .

ومعنى ذلك أن الله – سبحانه وتعالى – خلق على يديه طيرًا من الطين ، فالخالق هو الله – سبحانه وتعالى – ولكن جرى الخلق على يد عيسى – عليه السلام – .

تعقيب :

نرى أن قضية الخلق هي لله وحده فهو سبحانه الموجد والمبدع الذي أبدع المخلوقات على غير مثال سابق، قال تعالى : ﴿ **بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ ، فليس الخلق لنبي أو لملك مقرب ، فالذي حدث على يد سيدنا عيسى لا يدل على أن سيدنا عيسى إله كما يدعي النصارى ؛ لأن الله – تعالى – هو الذي أجرى على يد سيدنا عيسى مسألة الخلق والإحياء وإبراء الأكمه والأبرص ، وليس لسيدنا عيسى دخل في ذلك؛ فهذه معجزات أجراها الله على يد سيدنا عيسى – عليه السلام – .

أما النوع الثاني من براهين عيسى – عليه السلام –(١) فهو إبراؤه الأكمه والأبرص ، وهما مرضان تعذر على العالم قديمه وحديثه العثور على دواء لهما ، والتمكن من أسباب الشفاء منهما ، ولكن عيسى بقدرة الله شفاهما (٢) ، فيرى بأنه كان يجتمع على عيسى – عليه السلام – عدد كبير من المرضى ، من أطاق منهم أتاه ، ومن لم يطق أتاه عيسى ، وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده .

وأما النوع الثالث من براهين عيسى . عليه السلام . فهو إحياؤه الموتى، حيث عيسى – عليه السلام – كان يحيى الموتى بإذن الله ، والمحيي في الحقيقة هو

---

(١) انظر: النوع الأول وهو الإخبار بالغيب ضمن القسم الأول وهو القولي صـ ١١٥ من المبحث السابق .

(٢) راجع: التفسير الكبير للرازي، م٤ جـ٨ ، ص ٥١ ، وقارن الكشاف للزمخشري جـ١ ص٤٣١ .

الله – عز وجل – ، ولكن أجرى الإحياء على يد المسيح – عليه السلام – ليكون ذلك نبوته ودليلَ رسالته .

وقد روي "أنه أحيا" سام بن نوح " فقام من قبره وهم ينظرون ، ويؤكد الزمخشري على أنه كان يحيى الموتى بإذن الله ؛ ولذلك كرر قوله "بإذن الله " دفعًا لوهم من توهم فيه اللاهوتية [(١)].

وأما النوع الرابع من براهين عيسى . عليه السلام . فهو إنزال المائدة بطلب الحواريين ، لتطمئن قلوبهم ويعلموا أن قد صدقهم .

ولقد أشار الإمام الرازي عند تفسيره لقوله – عز وجل – " هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء " إلى ذلك، حيث قال " فدل ذلك على أنهم كانوا شاكين متوقفين، فإن هذا القول لا يصدر عمن كان كاملاً في الإيمان . وقالوا : ونعلم أن قد صدقتنا، وهذا يدل على مرض في القلب وكذلك قول عيسى – عليه السلام – لهم : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، يدل على أنهم ما كانوا كاملين في الإيمان[(٢)]، ويقول بهذا الرأي أيضًا الزمخشري .

وقد ذكرت بعض النماذج من البراهين – المعجزات – الحسية الخاصة بسيدنا موسى وعيسى – عليهما السلام – ورأينا كيف أن إثبات هذه المعجزات موضع اتفاق بين علماء المعتزلة وعلماء الأشاعرة .

* *

---

(١) راجع التفسير الكبير للرازي، م٤ ، جـ٨ ص ٥١ ،وقارن الكشاف للزمخشري، جـ١ ص ٤٣١ .

(٢) راجع التفسير الكبير، م٦ جـ١٢ ، ص ١٠٧ ، وقارن الكشاف، جـ١ ، ص٦٥٤ .

الفصل الرابـع

بعض معجزات سيدنا محمد ﷺ ورد الشُبه الواردة عليها

أما ما يخص سيدنا محمد ﷺ :

فإني أيضًا سوف أتناول بعض النماذج من البراهين . المعجزات . الحسية الخاصة بسيدنا محمد ﷺ والتي تزيد على الألف[1] بخلاف معجزة القرآن الكريم، وسأركز بوجه خاص على تلك الأنواع التي أثار حولها المنكرون بعض الشبهات، وذلك بهدف التمكن من الرد عليهم مستعينة في ذلك بآراء المتكلمين.

ويمكن تصنيف البراهين . المعجزات . الحسية الخاصة بسيدنا محمد ﷺ إلى ست مجموعات رئيسية، وهي :

المجموعة الأولى : وتتعلق بالفلك، وتشتمل على :

١ – انشقاق القمر .

٢ – الإسراء والمعراج .

المجموعة الثانية :وتتعلق بالحيوان، ومنها كلام الذئب، وشكاية الناقة .

المجموعة الثالثة : وتتعلق بالجماد، كتسبيح الحصى .

المجموعة الرابعة : وهي ما يتعلق بالطعام والشراب .

المجموعة الخامسة : تشتمل على إخباره بالغيب، ويندرج تحت هذه المجموعة أنواع عديدة .

---

(١) هذا ما ذكره الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ سورة البقرة الآية ٢٥٣ ، حيث يقول والظاهر أنه أراد محمدًا ﷺ لأنه هو المفضل عليهم، حيث أوتي ما لم يؤت أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ، ولو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به . راجع: الكشاف جـ١ ص ٣٨٢ ، وقارن الرازي، م٣ جـ٦ ص ١٧١ ، وقارن النيسابوري، م٢ جـ٣ ، ص ٥ غرائب القرآن ورغائب الفرقان.

المجموعة السادسة : تشتمل على بعض الخصائص التي تميز بها سيدنا محمد ﷺ عن غيره من البشر .

ويندرج تحت كل مجموعة منها أنواع فرعية :

أما المجموعة الأولى : فتتعلق بالفلك، وتشتمل هذه المجموعة على برهانين . معجزتين . هامتين، وهما:

١ – انشقاق القمر .

٢ – الإسراء المعراج .

١ – أما برهان – معجزة – انشقاق القمر :

فقد أجمع جمهور المسلمين على أن الله – تعالى – أيد نبيه محمد ﷺ في دعواه الرسالة بمعجزة انشقاق القمر، واستندوا في ذلك إلى الكتاب والسنة .

أما الكتاب فقد جاء فيها قول الحق – عز وجل –:﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ *وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ** ﴾ [1]؛ فقد ذكر المفسرون[2]عند تفسيرهم لهذه الآية "أن انشقاق القمر على عهد رسول اللهﷺ يُعَدُّ معجزة من معجزاته الدالة على نبوته. وأشار إلى ذلك الرازي في تفسيره "على أن المراد أن القمر انشق وحصل فيه الانشقاق " [3].

وأشار أيضًا الزمخشري إلى أن انشقاق القمر من آيات رسول الله ﷺ ومعجزاته النيرة ، مستدلاً على ذلك ببعض الروايات التي وردت في ذلك، ومنها: ما رواه أنس بن مالك من أن الكفار سألوا رسول الله ﷺ آية فانشق القمر مرتين [4].

---

(١) سورة القمر آية : ١ ، ٢ .

(٢) الرازي في مفاتيح الغيب م١٥ جـ٢٩ ص ٢٦: ٢٨، والكشاف، م٤ ، ص ٣٥ ،٣٦ .

(٣) راجع التفسير الكبير للرازي، م١٥ جـ٢٩ ص٢٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١١هـ. ١٩٩٠م .

(٤) أخرجه البخاري من رواية : (عيد عن قتادة عن أنس أنه حدثهم : أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر . صحيح البخاري، ٤٢ ، ص ١٨٦ .

وكذا عن ابن مسعود . رضي الله عنه . قال ابن مسعود : رأيت حراء بين فلقتي القمر [(١)].

وأشار الرازي قائلاً : قد اختلف في تواتر خبر الانشقاق، فقيل: هو غير متواتر، وقيل: متواتر .

وقد ورد في ذلك شبهة واهية يمكن تصويرها .

يقولون : بأن المراد من انشقاق القمر هو : التأكيد على وقوعه يوم القيامة ، والقرآن استخدم التعبير عن ذلك بصيغة الماضي، على عادة إخبار الله تعالى – وقد أسسوا رأيهم هذا على أمرين :

الأول : أن انشقاق القمر أمر عظيم الوقع في النفوس ، فكان ينبغي أن يبلغ حد التواتر .

الثاني : مع التسليم بوقوعه، فلعله كان : شبه خسوف ذهب على أثره بعض جرم القمر عن البصر، وظهور شيء في الجو على شكل نصف القمر في موضع آخر [(٢)].

والرد على هذه الشبهة :

بالنسبة لدعواهم الأولى بأن انشقاق القمر لم يحدث في عهد الرسول ﷺولكنه علامة من علامات الساعة التي ستحدث في آخر الزمان .

فأجاب الرازي :

أن انشقاق القمر حدث بالفعل، فالقرآن أول دليل وأقوى مثبت له ، وإمكانه لا يشك فيه ، وقد أخبر عنه الصادق، فيجب اعتقاد وقوعه، وجعل آية من آيات

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ٦/ ١٧٨ كتاب: التفسير، باب سورة القمر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه دون قوله حراء، وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٥٨ ، كتاب: المنافقين ، باب انشقاق القمر عن عبد الله بن مسعود بنفس رواية البخاري . راجع الكشاف للزمخشري، جـ٤ ص٣٥ ،٣٦ ، دار الفكر ، بدون .

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي ، م١٥ صـ٢٦ ، صـ٢٩ .

الرسول وبرهانًا على صدقه ، ولو كانت علامة من علامات الساعة ؛ لأخبرنا بذلك الرسول ﷺ كما هو الحال في أمر الدابة التي ستخرج من الأرض وتكلم الناس[1]، وكذا طلوع الشمس من المغرب . مع أن هذه الأشياء عجائب وليست بمعجزة للنبي، فحينئذ يكون هذا من قبيل الإخبار عن الغيوب . فلا يكون هو معجزة برأسه وذلك فاسد .

٢ – وأما عن دعوى عدم تواتر انشقاق القمر :

فلعل الناقلين قد اكتفوا بإعجاز القرآن عن سائر المعجزات، بحيث يبلغ حد التواتر .

٣ – أما عن زعمهم الثالث :

بأنه كان خسوفًا ذهب على إثره نصف القمر . فهذا كلام باطل ؛ لأن الأولى بأن نتمسك بأخبار الصادق ، بدلاً من التمسك بأقوال فلسفية من قبيل السفسطة[2].

وإنني أرى أن التمسك بهذه الشبهة بدعوى عدم تواتر الأخبار التي نقلتها إلينا، دعوى مرفوضة من أساسها ، وذلك لأن هذه الحادثة تم نقلها بطريقين :

الأولى : القرآن الكريم .

الثاني : السنة المطهرة .

فإن كانت السنة لم تتواتر – كما في رأيهم – فإن القرآن متواتر كله، وقد حدثنا عن انشقاق القمر في آية صريحة لا تقبل التأويل – بسبب ما ورد في ذلك من أحاديث ، حتى ولو كانت غير متواترة .

---

(١) وخروج الدابة من الأرض من علامات الساعة الكبرى ولقد أشار إليه ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ... ﴾ النمل من آية : ٨٢.

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي، م١٥ جـ٢٩ ، ص٢٦ ، وقارن الكشاف للزمخشري، جـ٤ ص٣٥ ، ٣٦ ، وقارن تفسير النيسابوري، م٩ جـ٢٧ ، ص ٤٨، ٤٩ .

وقد أكد الرازي على أن القول الفصل في هذه المعجزة يرجع إلى القرآن الكريم ؛ لأنه أكبر دليل على وقوع هذه المعجزة وثبوت الانشقاق ، ولا يشك في ذلك إلا اللئام(١).

أما البرهان الثاني الذي يتعلق بالفلك وهو الإسراء والمعراج :

فقد ثبت إسراء النبي ﷺ بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ (٢).

وقد ذكر صاحب المقاصد "أن الخلاف في أنه في المنام أو في اليقظة وبالروح فقط أو بالجسد والروح معًا أو إلى المسجد الأقصى فقط ، أو عرج به أيضًا إلى السماء، والحق أنه أسرى به في اليقظة بالجسد والروح إلى المسجد الأقصى بشهادة الكتاب وإجماع القرن الثاني ومن بعدهم (٣).

قال ابن كثير: أسرى بعبده – يعني محمدًا ﷺ ليلاً في جنح الليل من المسجد الحرام – وهو مسجد مكة – إلى المسجد الأقصى، – وهو بيت المقدس – الذي بأيليا معدن الأنبياء من لدن إبراهيم، ولهذا جمعوا له هناك فأمهم في محلتهم ودارهم، فدل على أنه هو الإمام الأعظم(٤).

ولقد أشار الإمام الرازي إلى ذلك بقوله :" الأكثرون من طوائف المسلمين اتفقوا على أنه أسرى بجسد رسول الله ﷺ والأقلون قالوا أنه ما أسرى إلا بروحه ؛ حكى عن محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال: ذلك رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله ﷺ ، وإنما أسرى بروحه، وحكى هذا القول أيضًا عن عائشة –

---

(١) راجع: تفسير الرازي، م١٥ جـ٢٩ ، ص ٢٦ .

(٢) سورة الإسراء آية : ١ .

(٣) **انظر**: شرح المقاصد، التفتازاني، جـ٢ ، ص١٤٢ .

(٤) راجع النبوات والسمعيات، د/ محي الدين الصافي .

رضـي الله عنهـا – أنهـا قالـت : والله مـا فقدت جسد محمـد ﷺ ، وعـن معاويـة – رضي الله عنه – أنها كانت رؤيا صالحة[1].

وعن وقوع المعراج أشار الرازي بقوله :" قال أهل التحقيق الذي يدل على أنه تعالى أسرى بروح محمدﷺ وجسده من مكة إلى المسجد الأقصى القرآن والخبر، أما القرآن في هذه الآية:﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [2] وتقرير الدليل : أن العبد اسم لمجموع الجسد والروح ، فوجب أن يكون الإسراء حاصلاً لمجموع الجسد والروح معًا ، وأورد سؤالاً إذا كان هناك شك في أن لفظ العبد في هذه الآية لا يطلق على الجسد والروح ، بل يمكن أن يطلق على الروح وحدها ، فأجاب بأن هناك آية أخرى للفظ العبد فيها لا يمكن أن يطلق على مجموع الروح والجسد، هي قوله تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى** ﴾ [3]. ولا شك أن المراد من العبد ههنا مجموع الروح والجسد معًا . فكذا في آية الإسراء وبعض العلماء يستدل عليه [4]بقوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى** ﴾ [5].

وأما الخبر فهو الحديث المروي في الصحاح، وهو مشهور، وهو يدل على الذهاب من مكة إلى بيت المقدس ، ثم منه إلى السماوات[6].

وقد أكد الزمخشري على وقوعهما للنبي ﷺ ، حيث ساق الأحاديث التي وردت فيها، والتي أخبر فيها النبي ﷺ أنه أسرى به من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد

---

(١) راجع التفسير الكبير للرازي، م١٠ ، جـ٢٠ ، ص١١٨ .

(٢) سورة الإسراء، آية : ١ .

(٣) سورة العلق، آية : ٩، ١٠ .

(٤) انظر التفسير الكبير الرازي، م١٠ جـ٢٠ ، ص ١٢٠، ١٢١ .

(٥) سورة النجم، آية ١٣ ، ١٤ .

(٦) انظر التفسير الكبير، م١٠ جـ٢٠ ، ص ١٢٠ ،١٢١ .

الأقصى . بيت المقدس . وأخبر فيه أنه قد عرج به إلى السماء في تلك الليلة ، وكان العروج به من بيت المقدس ، وقد أخبر قريشًا بما رأى في السماء من العجائب ، وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى[١].

وقد أشار الزمخشري :إلى أنه قد اختلف في وقت الإسراء ، فقيل: كان قبل الهجرة بسنة ، وعن الحسن أنه كان قبل المبعث ، وأشار إلى أنه هل كان في اليقظة ؟ أم في المنام ؟ ثم ساق حديث عائشة – رضي الله عنها – " والله ما فقدت جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه[٢]، وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها[٣].

ومما سبق يتبين لنا أن الزمخشري أكد وقوع هذه المعجزة للرسول ﷺ وأشار إلى الخلاف الذي حدث في وقتها ، وفي أنها هل حدثت في اليقظة أو في المنام ؟ مشيرًا إلى بعض الأحاديث التي وردت في ذلك ، ولكنه لم يتعرض لشبه المنكرين لهذه المعجزة، وبالتالي لم يرد عليها، وتتميمًا للفائدة سوف أذكر فيما يلي شبه القائلين باستحالة الإسراء والمعراج، والرد عليها، وما أسهم به بعض علماء الأشاعرة في الرد عليها :

١ . من هذه الشبه :

١ – أنهم قالوا إن الحركة الجسمانية البالغة في السرعة إلى هذا الحد غير معقولة، كما أن انخراق الفلك غير جائز .

وقد رد التفتازاني على هذه الشبهة، بقوله :إذا كان القول بمعراج الرسول ﷺ في ليلة واحدة ممتنعًا ، لكان القول بنزول جبريل . عليه السلام . من العرش إلى مكة

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور، ٤/ ١٤١، ١٤٢ بلفظه. دار المعرفة للطباعة والنشر .

(٢) أورد السيوطي في الدر المنثور، ٤/ ١٥٧ عن أبي إسحاق وابن جرير عن عائشة . رضي الله عنها . بلفظ : والله ما فقدت جسد رسول الله ﷺ ولكن الله أسرى بروحه ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان .

(٣) راجع الكشاف الزمخشري ، جـ٢ ، ص ٤٣٧ .

في لحظة واحدة ممتنعًا أيضًا ؛ لأن الملائكة أجسام عند جمهور المسلمين[(١)]، وكذا القول في حركات الجن والشياطين[(٢)].

أما عن انخراق الأفلاك ، فهى عند علماء الإسلام من الأمور الجائزة .

٢ - ومن هذه الشبه :

" أنه لو صح ذلك لكان من أعظم معجزاته التي يجب أن تقع بمحضر من الناس ليستدلوا بذلك على صدقه، ومن ثم فلا فائدة في إسرائه ليلاً على حين غفلة من الناس ، **وملخصها** : أنهم يطعنون في إسرائه ﷺ ليلاً ؛ لأنه لا فائدة فيه تعود على الناس ، وكان يجب أن يكون إسراؤه بمحضر من الناس حتى يستدلوا بها على صدقه؛ لأن المعجزة بمثابة قول الله - عز وجل - " صدق عبدي فيما يبلغ عني".

وقد أجاب الإمام الرازي عنها قائلاً : بأن الفائدة في الإسراء والمعراج قد عادت إلى النبي ﷺ متمثلة في مشاهدته للعالم العلوي والعرش ، وما فيهما حيث ترتب على ذلك : زيادة الإيمان ، وطمأنينة القلب، فيهما انقطعت تعلقاته عن الكونين ، ولم يبق قلبه مشغولاً بشيء من أمور الدنيا والآخرة .

٣ - ومن الشبه: أنهم تمسكوا بقوله تعالى : ﴿ .. . **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ** .. . ﴾ [(٣)]؛ ففيها دليل على أن المعراج كان منامًا، أما كونها فتنة فمن حيث أن كثيرًا من الناس قد ارتد عن الإسلام بعد أن سمعها كما آمن به الكثير أيضًا .

(١) وهذا ما أكد عليه السعد حينما قال: إن جمهور المسلمين على أن الملائكة أجسام لطيفة في صور مختلفة، وتقوى على أفعال شاقة وهم عباد مكرمون يواظبون على الطاعة والعبادة ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، راجع المقاصد، جـ٢ ، ص٤٠ ثم ١٤٦ .

(٢) راجع المصدر السابق، ص ٤٠ .

(٣) سورة الإسراء من آية : ٦٠ .

وقد أجاب الإمام الرازي بقوله : إن تلك الرؤية غير حكاية المعراج ولو سلمنا بأنها المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية البصرية في اليقظة .

٤ – ومن هذه الشبه أيضًا :

أنهم قالوا إن حديث المعراج الجسماني مشتمل على أشياء بعيدة عن العقل ، كشق البطن ، وتطهيره ، بماء زمزم، وركوب البراق وإيجاب خمسين صلاة وهذا يوجب البداء ونسخ الحكم، وهو محال .

وأجاب الرازي بقوله : أنه لا اعتراض على الله . عز وجل . في شيء من أفعاله وأنه على كل شيء قدير (١).

هذه هي بعض الشبه التي أوردها المنكرون لمعجزة الإسراء والمعراج ورد الأشاعرة عليهم ممثلين في الإمام الرازي والإمام التفتازاني، ويتبين منها أنها واهية، ولا تعتمد على أدلة يقينية .

تعقيب :

ومع أن معجزة الإسراء والمعراج تُعَدُّ من معجزات النبي ﷺ إلا أنه لم يقصد بها تحدي قومه ، وإنما كان المقصود منها التسرية عن نفس النبي ﷺ من الهموم التي لحقت به في دعوته إلى الله . عز وجل . ليزداد قلبه ﷺ إيمانًا وطمأنينة؛ فبالإسراء أصبح قلب النبي ﷺ مشغولاً بالله ، وليس مشغولاً بشيء غيره من أمور الدنيا ؛ لأنه في هذه الرحلة شاهد عجائب الملكوت من العرش والجنة والنار وغيرها مما رآها النبي ﷺ في رحلته المباركة.

المجموعة الثانية :

من أنواع براهينه الحسية : تتعلق بالحيوان ، ومن نماذج ذلك: كلام الذئب، وشكاية النوق عن أصحابها ، وشهادة الشاة المشوية يوم خيبر بأنها مسمومة ،

---

(١) انظر: التفسير الكبير للرازي، م١٠ جـ٢٠ ، ص ١٢٢ .

وكثير من هذا القبيل، أشار إليه صاحب المقاصد والإيجي والجويني وغيرهم من علماء الكلام[١].

وقال : إذا كان سليمان . عليه السلام . قد سمع كلام النملة وفهمه ، فإن رسولنا ﷺ قد تحدث مع أنواع عديدة من الحيوانات، ككلامه مع الذئب، ومع البعير .

والفلاسفة لا تستبعد هذا فإنهم زعموا أن فيثاغورث راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك [٢].

أما دليل هذا من السنة : فعن أبي سعيد، قال : (بينما راع يرعي بالحرة؛ إذ عرض ذئب لشاة من شياهه ، حال الراعي بين الذئب والشاة ، فأقعي الذئب، على ذنبه ، ثم قال الراعي العجب من ذئب مقع على ذنبه يتكلم بكلام الإنس ، فقال الذئب : ألا أحدثك بأعجب مني ، رسول الله ﷺ بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما قد سبق . أفاق الراعي: شاة حتى أتى المدينة ، فزوي إلى زاوية من زواياها ، ثم دخل على النبي ﷺ فحدثه بحديث الذئب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس، فقال للراعي : قم فأخبرهم ، قال : فأخبر الناس بما قال الذئب ، قال رسول الله ﷺ :" صدق الراعي إلا أنه من أشراط الساعة كلام السباع للإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده[٣].

(١) راجع: شرح المقاصد جـ٢ ص ١٣٨ ،١٣٩ ، وقارن المواقف للإيجي، ص ٢٥٧ ، وقارن الإرشاد للجويني، ص ٣٥٣ .

(٢) انظر: التفسير الكبير للرازي، م٤ ، جـ٨، ص ١٩.

(٣) أخرجه البيهقي وقال : إسناده صحيح وله شواهد من أوجه أخرى . راجع دلائل النبوة، جـ٦ ص ٤١ ،٤٢ ، وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن، وقال: حسن غريب باب ما جاء في كلام السبع، جـ٤ ص ٤٧٦ ، ورواه أحمد في مسنده، جـ٣ ص ٨٣ ،٨٤ .

كما ثبت من الأحاديث أيضًا أن البعير قد سجد له[1]،

وكذلك كلمه ذراع الشاه المسموم : حيث قال ﷺ :" إن هذا الذراع أخبرني بأنه مسموم[2]، وهذا هو قمة الإعجاز .

٣ – أما المجموعة الثالثة :

من أنواع براهينه الحسية : فهي ما يتعلق بالجماد كتسبيح الحصى بين يديه ، وتسليم الحجر عليه ، وانتقال الشمس إليه[3]، ونحو ذلك مما لا يكاد يحصى[4].

أما عن تسبيح الحصى بين يديه؛ فقد قال أبو ذر: " كنت رجلاً أتتبع خلوات رسول الله ﷺ فرأيته يومًا جالسًا وحده فاغتنمت خلوته ، فجئت حتى جلست إليه، فجاء أبو بكر فسلم ، ثم جلس عن يمين رسول الله ﷺ ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين أبي بكر ، ثم جاء عثمان فسلم ، ثم جلس عن يمين عمر ، وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات، أو قال: تسع حصوات ، فأخذهن فوضعهن في كفه ، فسبحن حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل .. . الحديث[5].

---

(١) وفي هذا الحديث أخرجه البيهقي، جـ٦ ص١٩ ، وأبو داود، جـ١ ص١ ، والهيثمي في الزوائد ، وابن ماجه، جـ١ ص ٢٢ .

(٢) أخرجه : مسلم في صحيحه بشرح النووي، جـ١٥ ص ٣٢، والقصة موجودة في سيرة ابن هشام، جـ٣ ص ٣١٨ .

(٣) حديث انتقال الشجرة ورجوعها مرة أخرى أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد عن جابر، والبيهقي في الدلائل، جـ٦ ، ص ٧: ١٠

(٤) راجع: شرح المقاصد للتفتازاني، جـ٢ ، ص ١٣٨ .

(٥) أخرجه البيهقي، جـ٦ ، ص ٦٤، ٦٥ ، والخبر ذكره ابن كثير، ٦/ ١٣٢ ، والطبراني في الأوسط .

أما عن تسليم الحجر عليه : فقد ورد في ذلك حديث عن جابر بن سمرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ :" إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم على قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن " [1].

وقد علق النووي على الحديث قائلاً : إن في الحديث دلالة على أن حدوث هذا الخارق يُعَدُّ من قبيل المعجزات ، ويوافق قوله تعالى في الحجارة:﴿ **..وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ ..**﴾ [2]، وقوله أيضًا : ﴿ **.. وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ .. .** ﴾ [3].

وقد أشار النووي إلى الخلاف الذي حدث حول تسبيح الحصى وتسليمه على الرسول ﷺ مؤكدًا أن الرأي الصحيح هو : أن تسبيح الحصى على حقيقته وإرجاع ذلك إلى قدرة الله – عز وجل –[4].

أما عن حنين الجذع وأنينه : فقد ثبت ذلك بالحديث الصحيح الذي رواه جابر ابن عبد الله – رضي الله عنهما – :" أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرًا، قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبرًا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه تئن أنين الصبي الذي يسكن ، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر[5].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، جـ١٥ ص ٣٦، راجع الحديث في صحيحه بشرح النووي.

(٢) سورة البقرة من آية : ٧٤ .

(٣) سور الإسراء من آية : ٤٤ .

(٤) راجع صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٥ ، ص ٣٦ ،٣٧ ، وقارن سيرة ابن هشام، جـ١ ، ص ٢١٦ : ٢١٨ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، م٢، ص ١٧٣، وله طرق متعددة، كما أخرجه البيهقي، جـ٦ ص ٦٦ ، وابن ماجه في باب إقامة الصلاة

أما المجموعة الرابعة فهي ما يتعلق بالطعام والشراب :

قال الرازي :" إنه نقل عنه براهين – معجزات – كثيرة منها إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وكل واحد منها وإن لم يبلغ مبلغ التواتر، لكن التواتر يدل على صحة واحد منها ، وأي واحد منها صح حصل الغرض(١). وهذه البراهين – المعجزات – قد ثبتت بالأحاديث، منها : ما روي عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – " أنه أتى النبي ﷺ بإناء بالزوراء، فوضع يده في الإناء، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم ، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم ؟ قال : ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة(٢).

أما تكثير الطعام القليل(٣): فقد ورد أن الرسول ﷺ قد أشبع الخلق الكثير من الطعام القليل؛ فعن جابر – رضي الله عنه – أن شاته التي ذبحها لرسول الله ﷺ مع صاع من شعير أكل منها من كان يحفر في الخندق ، وهم ألف؛ لأن الرسول ﷺ باركها، يقول جابر :" وإن برمتنا لتغط كما هي، أي أنها مملوءة كما وضعها، وإن عجيننا ليخبز كما هو(٤).

وقد أورد المنكرون لهذا البرهان . المعجز الحسي شبهة :

---

(١) راجع المحصل، الرازي، ص ٢٠٨ .

(٢) أخرجه البخاري في باب علامات النبوة عن أنس : إلا أنه ذكر أن عدد الصحابة كان سبعين، وربما حدث ذلك أكثر من مرة ، كما رواه بطريق آخر عن جابر بن عبد الله وذكر عدد الصحابة بخمسة عشر مائة . راجع، م٢ جـ٤ ، ص ١٧٠ ، كما أخرجه بالوجه الذي ذكر الإمام مسلم في صحيحه ، راجع جـ١٥ ، ص ٣٩ ، شرح النووي ورواه أنس عن جابر في البيهقي، جـ٦ ص ١١ وللحديث طرق متعددة أخرى في كتب الحديث .

(٣) الاقتصاد، ص ١٠٦، ١٠٧ .

(٤) دلائل النبوة لابن نعيم، جـ٢ ص ١٤٩ ،١٥٠ ، والحديث مروي بألفاظ أخرى عن قتادة وعن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنهما . . وهناك أحاديث أخرى في شأن تكثير الطعام ، أخرج منها مسلم في صحيحه حديثين ، راجع: صحيح مسلم جـ١٥ ، ص ٤٠ بشرح النووي ، كما أخرج البيهقي بعض الأحاديث في هذا الشأن ، راجع دلائل النبوة للبيهقي، جـ٦ ، ص٨٨ وما بعدها .:

حيث قالوا : إن خروج المياه الكثيرة من الحجر الصغير كان مستكنًا في الحجر[1] أو من الأصابع البشرية من الأمور الخيالية التي لا تثبت، وهذه الشبهة لم نجد أحدًا من القدماء قد أثارها إلا أنه في العصر الحديث، قد حاول أحد المعاصرين إنكار هذا البرهان المتواتر لسيدنا محمد ﷺ؛ حيث : أرجعوها إلى الإيحاء النفسي ، الذي يقوم به القائد أو الزعيم في نفوس الحاضرين له ، حينما يؤثر في أحوالهم النفسية والعاطفية ، مما يجعلها في غاية التوتر والحدة؛ حيث يفقدون الإحساس بالجوع والعطش من الناحية العضوية ، حتى يكفيهم أقل القليل من الطعام والشراب ، ما دامت النفس والعواطف في هذه الحالة من التوتر .. . وهي تجربة إنسانية يشعر بها عامة الناس ، من لقاء الأمهات للأبناء بعد طول غياب ، ولقاء المحبين بعد طول هجران، ولقاء الصوفية بالله بعد مخاطر الطريق[2].

وهكذا نلاحظ أن المنكرين المعاصرين الذين أنكروا مثل هذه المعجزات قد غفلوا عن قدرة الله – تعالى – المطلقة التي لا تعجز أمام شيء .

وللجواب عن هذه الشبهة : قال الرازي[3]: إنه لا يوجد إلا الله – تعالى– وهو قول أصحابنا بالفاعل المختار ، الذي له أن يحدث أي فعل خارق للعادة من غير أن يطلب له سبب أو واسطة[4].

أما عن طلب الأسباب والوسائط فإن العناصر الأربعة لها ميول مشتركة عندهم – أي عند الفلاسفة؛ حيث جوزوا انقلاب صور بعضها إلى بعض[5].

---

(١) إشارة إلى معجزة موسى . عليه السلام . راجع: الرازي في التفسير الكبير، م٢ ، جـ٣ ص ٩٠ .

(٢) راجع: من العقيدة إلى الثورة د / حسن حنفي جـ٤ ص ١٧٧ ، مكتبة مدبولي .

(٣) أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى .. . ﴾ سورة البقرة : ٦٠ .

(٤) انظر: التفسير الكبير الرازي، م٢ ، جـ٣ ، ص ٩٠ .

(٥) راجع ابن سينا – الإشارات والتنبيهات ق ٣ ص ٢٣٩ . تعليق د/ سليمان دنيا (نشر دار إحياء الكتب العربية ط عيسى الحلبي ١٣٦٦هـ – ١٩٤٧م .

وبناء عليه أشار الرازي إلى جواز استمداد الماء الكامن في الحجر من الهواء المجاور له ، ومثله : ما رواه أنس عن الرسول ﷺ في الحديث السابق[1].

وبالنسبة لما ذكره أحد المعاصرين من إضافات عصرية لشبهة المنكرين القدماء بأن عامل الإيحاء هو المؤثر، فنلاحظ أن قراءة الحديثين بتمعن وروية للوقوف على سياق الحديث للتأكد توضح أن عامل الإيحاء النفسي ليس موجودًا ولكنه من صنع الخيال؛ حيث وضع الرسول ﷺ يده في الإناء ، والكل يعرف ما هو الإناء ، ثم نبع الماء من بين أصابعه في هذا الإناء فشرب الناس ، وتوضئوا، وكانوا جمعًا كبيرًا تجاوز الثلثمائة، وأرى أن هذا العدد لا يمكن أن يؤثر فيه عامل الإيحاء النفسي – كما ادعوا – وإن أثّر في البعض فلن يؤثر في الباقين .

وقد أشار الرازي إلى هذا البرهان بأنه أعظم من برهان موسى – عليه السلام – بقوله :" إن نبوع الماء من الحجر معهود، أما نبوعه من بين الأصابع فغير معتاد البتة، فلذلك فهو أقوى[2].

وأيضًا في تكثير الطعام الذي أكل منه ألف رجل كانوا مع رسول الله ﷺ حتى شبعوا عن آخرهم ، فأين هذا من الإيحاء النفسي الذي تحدثوا عنه ؟ !!!!.

٥ – **أما المجموعة الخامسة** : التى على إخباره بالغيب فيندرج تحتها أنواع عديدة من الإخبار بالغيب منها :

١– ما أخبر به وكان قد حدث قبل مولده، مثل: حادثة الفيل ، وإخماد نار فارس، وذهاب الماء من بحيرة ساوة ، وتصدع إيوان كسرى .

٢– ومنها ما أخبر به وتحقق في حياته، مثل انتصار الروم على الفرس ، وإسلام عمر بن الخطاب .

---

(١) راجع: التفسير الكبير، م٢ جـ٣ ، ص ٩٠ .

(٢) انظر: التفسير الكبير، الرازي م٢ جـ٣ ، ص ٩٠ .

٣- وقسم ثالث تنبأ بها وحدث بعد وفاته:.منها الأخبار الكثيرة الخاصة ببعض الأفراد، كقوله لعمار بن ياسر :" ستقتلك الفئة الباغية "(١) .

٦- والمجموعة السادسة : تشتمل على بعض الخصائص التي تميز بها سيدنا محمد ﷺ عن غيره من البشر وعَدَّها الأشاعرة من أنواع براهينه . معجزاته .

ومن هذه الخصائص : أنه كان يرى من وراء ظهره ، ورؤيته لمشارق الأرض ومغاربها ، وقد أشار إلى هذه الخصائص وعَدَّها من معجزاته ﷺ الإمام الرازي عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ (٢)؛ حيث قال :" إن الأنبياء مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية والروحانية على السواء "؛ أما القوى الجسمانية : فهي إما مدركة أو محركة :

أما المدركة : فهي إما الحواس الظاهرة ، وإما الحواس الباطنة؛ أما الظاهرة فهي خمسة تشمل: البصر والسمع وقوة الشم وقوة الذوق ثم القوة اللامسة .

فأما الحواس الظاهرة : ومنها القوة الباصرة : كقوله ﷺ :" زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها "(٣) ، وكقوله ﷺ : "أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري "(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث خالد بن الحارث والنضر بن شميل عن شعبة في كتاب الفتن ، والبيهقي في الدلائل، جـ٦ ، ص ٤٢٠ ، وأحمد في مسنده (٤: ٣١٩) ، والحاكم في المستدرك، (٣: ٣٨٩) .

(٢) سورة آل عمران آية: ٣٣ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب تحريم سبق الإمام ، والبيهقي في الدلائل، جـ٦ ص ٧٤ .

(٤) أخرجه البخاري بلفظه ومسلم بمعناه، راجع: رياض الصالحين، حديث رقم ١٠٩٥ ، كتاب الفضائل ، باب الصف الأول ، والبيهقي، جـ٦ ص ٧٣ .

ويذكر الرازي أن نظير هذه القوة ما حصل لإبراهيم . عليه السلام . وهو قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ .. .** ﴾[1].

فيروي : أن الله – تعالى – قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وهذا غير مستبعد لأن المبصرون يتفاوتون؛ فقد روي بأن زرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام، فلا يبعد أن يكون بصر النبي ﷺ أقوى من بصرها[2].

أما النوع الثالث من أنواع البراهين . المعجزات . عند الأشاعرة الترك **فيندرج تحت هذا النوع برهانان :**

الأول : خاص بسيدنا إبراهيم . عليه السلام . وهو عدم إحراق النار له .

الثاني : خاص بسيدنا زكريا وهو عدم استطاعته الكلام مع القدرة على التسبيح والتهليل والتكبير .

أما عن برهان سيدنا إبراهيم . عليه السلام . وعدم إحراق النار له ، وكيفية برودتها .

فإن القرآن الكريم يبين لنا هذا الموقف فتذكر سورة العنكبوت أن القوم كانوا يريدون القضاء على إبراهيم؛ إما بالقتل وإما بالإحراق ، يقول الله تعالى: ﴿ **فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ .. .** ﴾ [3].

قال الإمام الرازي : عند تفسيره لهذه الآية : العلة التي من أجلها سمي الله قول قوم إبراهيم: "اقتلوه أو حرقوه " جوابًا على حجته التي أقامها على بطلان ما هم فيه من عبادة غير الله –عز وجل – [4].

---

(١) سورة الأنعام من آية : ٧٥ .

(٢) راجع: التفسير الكبير للرازي م٤ جـ٨ ص ١٩.

(٣) سورة العنكبوت من آية : ٢٤ .

(٤) انظر: تفسير الرازي، م١٣ ، جـ٢٥ ، ص ٤٦ ،٤٧ .

وقد جاء هنا الترديد بين قتله وإحراقه ، فقد يكون ذلك لأن من القائلين أناسًا أشاروا بالقتل وأناسًا أشاروا بالإحراق؛ وفي سورة الأنبياء اقتصروا على أحد الأمرين " حرقوه " وهو قتله حرقًا، قال تعالى : ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾[1] .

شيء عجيب آلهة ينصرها المخلوقون ، اتفقوا على أن يحرقوا إبراهيم وردت كتب التفسير بأنهم بنوا بناء ووضعوا فيه حطبًا وأخشابًا ووقودًا وأشعلوا نارًا ، وظلوا أربعين يومًا ، يسجرون فيها – يزيدونها اشتعالاً – ويلقون فيها كل شيء قابل للاشتعال ، وبلغ من فظاعة هذه النار أن الطير التي كانت تطير فوقها تقع محترقة ، واستدل العلماء على ذلك من أنهم لم يستطيعوا أن يقتربوا من النار ليلقوا إبراهيم فيها فصنعوا منجنيقًا عاليًا ووضعوه فيه ، وألقوه في النار ، وهم بعيدون عنها حتى لا تلفحهم شدة حرارتها ولكن الحق – سبحانه وتعالى – الذي تعهد بنصرة رسله وعباده المرسلين لم يترك نبيه إبراهيم لانتقام الكافرين ، ولكنه – سبحانه وتعالى – حماه وحفظه من شرهم وحينما ألقاه قومه في النار المتأججة ليحرقوه ويقضوا على دعوته يأتيه جبريل ، وهو في هذا الموقف الرهيب ويسأله ، إن كان يريد منه شيئًا فيرد عليه بثقة وثبات: "أما إليك فلا " لم يجزع ، ولم يفزع ، بل كان واثقًا من نصر الله له فأمر الله النار ﴿ **كُونِي بَرْدًا** ﴾ وقبل أن يخصص نار إبراهيم انطفأت كل نار في الدنيا حتى تحدّد الأمر بأنه خاص بنار إبراهيم وحدها فساعة قال سبحانه : ﴿ .. **يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا** .. ﴾ [2] انطفأت كل نيران الدنيا ، إلى أن قال الحق : ﴿ **على إبراهيم** ﴾ فاشتعلت النيران الأخرى ، وامتثلت نار إبراهيم للأمر فكانت بردًا وسلامًا على إبراهيم أي بردًا لا يؤذي .

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٦٨ .

(٢) سورة الأنبياء، من آية : ٦٩ .

إذن .. . الذي يعطل ناموس الأشياء هو خالق الأشياء ؛ لأن الأشياء لم تخلق ليكون لها القدرة على قيومية نفسها ، ولكنها مخلوقة لتؤدي مهمة ، ولكن الذي خلقها لهذه المهمة يستطيع أن يسلب منها هذه الوظيفة أو المهمة .

والنار بطبيعتها الإحراق فهي تظل على هذه الحالة بأمر الله لكن إذا أراد الله – سبحانه وتعالى – أن يسلبها خاصية الإحراق ، فإنه يأمرها بألا تحرق فتتوقف عن الإحراق ، وهذا ما حدث مع سيدنا إبراهيم[١].

ونلاحظ أن ارتباط الإحراق بالنار أو تلازمها من المسائل التي وقع الاختلاف[٢] الفكري فيها ، بين المتكلمين والفلاسفة ، بينما رأى الفلاسفة أن الاقتران المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات ، اقتران تلازم بالضرورة، ويلاحظ أن الإمام الغزالي يخالفهم في هذا الرأي[٣]، ويرى أن هذا الاقتران بين الأسباب والمسببات ليس ضروريًا ، وهذا أيضًا رأى جمهور المتكلمين لأنهم يسندون جميع الممكنات ابتداءاً إلى الخالق – عز وجل – .

ويقول الإمام الغزالي في ذلك: "فأما اللازمات التي ليست شرطًا فعندنا يجوز أن تنفك عن الاقتران بما هو لازم لها ، بل لها لزومه بحكم طرد العادة كاحتراق القطن عند مزاولة النار ، وحصول البرودة في اليد عند مماسة الثلج ، فإن كل ذلك مستمر بجريان سنة الله – تعالى – وإلا فالقدرة من حيث ذاتها غير قاصرة عن خلق البرودة في الثلج، وللمماسة في اليد مع خلق الحرارة في اليد بدلاً من البرودة [٤].

---

(١) أنبياء الله، الشيخ محمد متولي الشعراوي، ص ٩٠ ، وقارن ابن كثير، جـ٣ ص ١٨٤، والرازي، جـ٢٢ ص ١٨٨ .

(٢) سيأتي الحديث عن هذا الاختلاف في الفصل الخامس بإذن الله .

(٣) سيأتي رد الغزالي .

(٤) راجع الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي، ص ٤٦ ، نقلاً عن نظرية السببية في الفكر الإسلامي د/ عبد العزيز سيف النصر، ص ٢٧ ،٢٨ ، طبعة أولى، سنة ١٩٨٤م .

إذن ... معجزة إبراهيم جاءت تحديًا لقومه ؛ لأنهم أرادوا أن ينتقموا لآلهتهم ، وهي الأصنام، والحرق أمام الآلهة وعلى مشهد منها ليكون الانتقام من إبراهيم انتقامًا تباركه الآلهة ، وتجعله رهيبًا ، كل شيء معد لتمجيد آلهة غير الله – سبحانه وتعالى –، جاءوا بالحطب ، وأوقدوا النار الهائلة ، وأتوا بإبراهيم ، والسؤال هنا: لماذا جعلهم الله يأتون بإبراهيم ليحرقوه في النار أمام آلهتهم ؟ كان من الممكن أن يختفي إبراهيم في أي مكان ولا يظهر .. ..

ولكن لو حدث هذا لقالوا لو أننا قبضنا عليه لأحرقناه .. . ولكانت قوة الآلهة المزيفة التى يعبدونها مسيطرة عليهم– ولذلك لا بد من ألا يهرب إبراهيم بل يقع في أيديهم ليشهد القوم جميعًا سفاهة معتقداتهم ، وعجزها أمام قدرة الله – تعالى – وكان من الممكن أن تنطفئ النار لأي سبب من الأسباب ، كأن ينزل المطر من السماء فيطفئ النار، ولكن هذا لم يحدث لماذا؟ لنفس السبب لأنه لو انطفأت النار لقال الكفار إن آلهتنا كانت قادرة على أن تحرق إبراهيم ، ولكن السماء أمطرت ، فإبراهيم لم يهرب ، والنار لم تنطفئ ، بل ازدادت اشتعالاً ، ثم ألقوا بإبراهيم في النار فإذا بالله – سبحانه وتعالى – يبطل خاصية الإحراق في النار، وتكون بردًا وسلامًا على إبراهيم .

فالخطاب للنار ذات المواصفات الخاصة وهي الإحراق ، فلو قال لها الله كوني بردًا لانطفأت النار، ولكن قال لها : ﴿.. **يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ أي: لا تكوني بردًا وسلامًا في ذاتك، ولكن على إبراهيم ، فهم أمسكوه وألقوه في النار المشتعلة التي لم يطفئها مطر ولا رياح ، ومع ذلك لم ينالوه بأذى وجعلهم الله الأسفلين في الكيد؛ لأن الكافر حين يكيد للمؤمن يتصدى له رب المؤمن ، وإذا أردت أن تعرف قوة الكيد، فانسبه إلى فاعله[1].

---

(١) انظر : أنبياء الله، الشيخ محمد متولي الشعراوي، ص ٩١ : ٩٣ ، وقارن ابن كثير جـ٣ ، ص ١٨٤ ، والرازي، جـ٢٢ ص ١٨٨ .

لقد كان الخليل – عليه السلام – جديرًا بهذه المعجزة ؛ لأنه لم يدخر جهدًا في دعوة قومه إلى الله ، ولم يكترث بما انتهى إليه أمر قومه معه من إعداد هذا الهول المبين له، إنه نسي ذاته ولم يفكر في نفسه ، ولا في هذا المصير المؤلم الذي هيأه قومه له. بل كان فكره مشغولاً بالدعوة إلى الله ، وتبليغ هذه الرسالة التي ائتمنه الله عليها إلى الناس، فهانت عليه الدنيا ، وهانت عليه نفسه ؛ لأنه يبذلها في طاعة الله، واستقبل النار بإيمان راسخ بأن الله لن يتركه في هذا الموقف العصيب أبدًا ، ولذلك روي عنه أنه قال : جبريل حين قال له : ألك حاجة يا إبراهيم : أما إليك فلا، فلما قال له جبريل : سل ربك، قال : علمه بحالي يُغني عن سؤالي .

وقد كافأ الله هذا اليقين من إبراهيم ، بأن خرق له قوانين الطبيعة ، وسنن الكون ، وطبائع الأشياء ؛ فالنار وهي طبعها الإحراق خرجت عن طبيعتها ، فأصبحت بردًا وسلامًا على إبراهيم – عليه السلام – استجابة لأمر ربها الذي لا يترك أحبابه في ساعات الشدائد ، وإنما يفجر لهم من ظلماتها نورًا .

قال تعالى مصورًا هذا الموقف : ﴿ **قلنا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾؛ قال الألوسي عند تفسيره هذه الآية:﴿ **قلنا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ أي كوني ذات برد وسلام أي: ابردي بردًا غير ضار ، ولذا قال علي . كرم الله وجهه . فيما أخرجه عنه أحمد وغيره : لو لم يقل سبحانه وسلامًا لقتله بردها وفيه مبالغات . جعل النار المستمرة لقدرته تعالى مأثورة مطاوعة وإقامة كوني ذات برد مقام ابردي، ثم حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه(١).

(١) تفسير الألوسي جـ١٧ ص ٦٣ ، ط الرابعة ١٤٠٥هـ . ١٨٨٥م ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان .

واختلف المفسرون في الكيفية التي بردت بها النار على إبراهيم وقد ذكر الرازي أقوالهم على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الله تعالى – أزال عنها ما فيها من الحر والإحراق ، وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق، والله على كل شيء قدير .

وثانيهما : أن الله . تعالى . خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه ، كما يفعل بخزنة جهنم في الآخرة ، وكما أنه ركب بنية النعامة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديدة المحماة ، وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار .

وثالثهما : أنه سبحانه خلق بينه وبين النار حائلاً يمنع من وصول أذى النار إليه .

قال المحققون والأول أولى؛ لأنه ظاهر قوله : ﴿.. **يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا**..﴾ أن نفس النار صارت باردة حتى سلم إبراهيم من تأثيرها ، لا أن النار بقيت كما كانت ، فإن قيل النار جسم موصوف بالحرارة والطاقة ، فإذا كانت الحرارة جزءاً من مسمى النار امتنع كون النار باردة ، فإذا وجب أن يقال: المراد من النار الجسم الذي هو أحد أجزاء مسمى النار،وذلك مجاز فلم كان مجازكم أولى من المجازين الآخرين؟ قلنا المجاز الذي ذكرناه يبقى معه حصول البرد، وفي المجازين اللذين ذكرتموهما لا يبقى ذلك فكان مجازنا أولى .

أما قوله تعالى : ﴿ ... **كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [(1)] فالمعنى أن البرد إذا أفرط أهلك كالحر، بل لابد من الاعتدال، ثم في حصول الاعتدال ثلاثة أوجه:

أحدها : أنه يقدر الله . تعالى . بردها بالمقدار الذي لا يؤثر .

وثانيها : أن بعض النار صار بردًا وبقي بعضها على حرارته فتعادل الحر والبرد .

---

(١) سورة الأنبياء من آية : ٦٩ .

وثالثها : أنه تعالى جعل في جسمه مزيد حر ، فسلم من ذلك البرد ، بل قد انتفع به والتذ [1].

وإنني أرى الذي ذكره الفخر الرازي وغيره من محاولات لتفسير كيفية جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، ليس إلا فروضًا عقلية لتفسير هذه المعجزة ، التى أيد الله بها خليله – عليه السلام – : إظهارًا لصدقه ، وإبطالاً لكيد قومه له، ونصرًا له عليهم .

والمعجزات خوارق للعادات ، لا يصح أن ننظر إليها بعقولنا على أنها أمور يمكن تفسيرها ، وإنما يجب أن ننظر إليها ببصائرنا ، لندرك أن رب الكون كله، أجرى هذه المعجزة على يد نبيه تأييدًا له ، وخذلانًا لأعدائه ، وليس من الصواب أن نلتمس الفروض التي يمكن أن تكون النار قد صارت بردًا وسلامًا على إبراهيم – عليه السلام – كما أنه ليس من الصواب ، أن نلتمس فروضًا لتسهيل فهم وقوع أي معجزة من المعجزات التي أيد الله بها أنبياءه – عليهم السلام – لأن المعجزة إذا التمست فروضًا لفهمها خرجت عن كونها معجزة .

فالمعجزات يخرق الله بها قوانين الكون والطبيعة، ويغير بها ما ألفه الناس ، وما اعتادوه تأييدًا لرسله، حتى تؤثر دعواهم في قلوب أقوامهم فيؤمنون بها ، والكون كله مسير بمشيئة الله – تعالى – وخاضع لإرادته– جل شأنه – لأنه هو المكون له ، وهو حده القادر على خرق قوانينه وتبديل أحواله.

تعقيب:

على تطبيق مفهوم المعجزة على معجزة سيدنا إبراهيم " عليه السلام " وعدم الاحتراق :

إن ظاهر النص يدل على أن نفس النار صارت باردة، كما أن الحرارة ليست جزءاً من مسمى النار ، حتى يمتنع كونها نارًا وهي باردة ، ومما يؤيد ذلك قوله

---

(1) راجع: التفسير الكبير الرازي، م ١١ جـ٢٢ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، وقارن الكشاف الزمخشري ، جـ٢ ص ٥٧٨ .

تعالى : ﴿ **وَسَلاَمًا** .. . ﴾ ، أي : ذات برد وسلام ، فيكون المعنى : ابردي حتى يسلم منك إبراهيم .

وبذلك خرق الله قوانين الطبيعة وسنن الكون وهو عدم اقتران الأسباب بالمسببات، وهو أن النار سببها الإحراق ولكنها لم تحرق سيدنا إبراهيم . عليه السلام – وذلك لأن الله – تعالى – هو الذي يخلق الاحتراق في الجسم وقت اتصاله بالنار ؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الفاعل المختار بأن يخرق العادة بفعل معجز، وذلك ينطبق على المعجزة بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي .

وذلك ما فعله الله – عز وجل – في عدم إحراق النار لإبراهيم – عليه السلام . بأن جعل النار بردًا وسلامًا عليه .

أما بالنسبة لبرهان – معجزة سيدنا زكريا – عليه السلام – وسلب استطاعته عن الكلام عدا التسبيح والتهليل ؛ فقد قال تعالى : ﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ** ﴾ (١).

وقد أشار الإمام الرازي أثناء تفسيره لهذه الآية :

أن الله – تعالى – ذكر في هذه الآية قوله ﴿ **ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ** ﴾ وذكر في سورة مريم ﴿ **ثَلاثَ لَيَالٍ** ﴾ فدل مجموع الآيتين على أن تلك الآية . البرهان . كانت حاصلة في الأيام الثلاثة مع لياليها .

وقال إن في هذه الآية إعجازًا من وجوه ثلاثة، هي :

١- أن قدرة سيدنا زكريا – عليه السلام – على أن يتكلم بالتسبيح والذكر مع عجزه عن التكلم بكلام البشر من أعظم المعجزات .

٢- أيضًا عجزه مع سلامة بنيته واعتدال مزاجه ، فهو من جملة المعجزات.

---

(١) سورة آل عمران، آية : ٤١ .

٣- ومنها الإخبار بأنه متى حصلت هذه الحالة، فقد حصل الولد ، ثم إن الأمر قد وقع وفق هذا الخبر أيضًا هو من المعجزات .

وذكر اختلاف المفسرين في المراد بالرمز على أقوال ثلاثة هي :

أحدهما : عبارة عن الإشارة بيد أو رأس أو غيرهما .

ثانيهما : أنه عبارة عن تحريك الشفتين باللفظ من غير نطق وصوت، وقالوا إن حمل الرمز على هذا المعنى أولى .

ثالثهما : أنه كان يمكنه أن يتكلم بالكلام الخفي، وأما رفع الصوت بالكلام فكان ممنوعًا منه .

وقيل : إن الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه ؟

وأجاب الرازي بقوله : إن حملنا الرمز على الكلام الخفي فإن الإشكال زائل(١).

وفي نهاية عرض معجزة سيدنا زكريا نرى أنها تدخل في القسم الثالث من أنواع المعجزات؛ وهو الترك حيث إن الله – تعالى – سلب استطاعته عن الكلام ما عدا التسبيح والتهليل مع سلامة بنيته واعتدال مزاجه، كما أن هذه الآية إخبار من الله – عز وجل – أنه عندما تحصل هذه الحالة يحصل له الولد، وقد جاء الأمر كما أخبره الله – عز وجل – .

وبعد أن انتهينا من بيان أنواع البراهين مع ذكر نماذج من براهين الأنبياء عليهم جميعًا أفضل – الصلاة والسلام – ورأينا كيف أن إثبات هذه البراهين أغلبها موضع اتفاق بين المتكلمين معتزلة وأشاعرة .

أما عن أعظم وأخلد برهان لسيدنا ورسولنا الكريم محمد ﷺ وهو القرآن الكريم – الدال على صحة رسالته ، ولأهمية برهان القرآن وعظمته التي عجز عنها الثقلان فإني رأيت من اللائق بأهميته أن أفرد له كتابًا مستقلاً .

---

(١) انظر: التفسير الكبير، م٤ جـ٧ ص ٣٦ ،٣٧، وقارن الكشاف، جـ١ ص٤٢٩ بتصرف .

وسوف نتكلم فيه عن إعجازه ، ووجوه الإعجاز ، وشبه المنكرين لإعجازه في كتاب آخر إن شاء الله – تعالى – .

أما الشبه الواردة على المعجزات وعلى وجه دلالتها على صدق الرسول ، فسوف نتناولها في هذا البحث ، بعد أن نوضح المعجزة عند بعض الفلاسفة المسلمين أولاً ، ليكتمل معنى المعجزة ، ثم شبه المنكرين على المعجزات ، وعلى وجه دلالتها على صدق الرسول .

الفصل الخامس

تعريف المعجزة عند بعض الفلاسفة المسلمين

تمهيد :

تتمة للبحث عن أنواع المعجزات؛ حيث تكلمت عن أنواعها عند المعتزلة ، ثم عند الأشاعرة ، رأيت لأتمم تعريف المعجزة .كما ينبغي . أن أذكر رأي بعض الفلاسفة المسلمين؛ حيث إن لهم رأيًا آخر في المعجزة يخالف ما أجمع عليه علماء الدين ، بأنهم أنكروا صراحة المعجزات التي لا توافق أصولهم ، وأولوا ما جاء في القرآن من إحياء الموتى ، أرادوا به موت الجهل بحياة العلم، وأولوا تلقف العصا لحبال السحرة ، بأنه إبطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد موسى – عليه السلام – وأما شق القمر فقد أنكروا وجوده وزعموا أنه لم يتواتر .

وسأبدأ في عرض هذه القضية من خلال من تناولنا رأيه من الفلاسفة المسلمين فيما يلي :

الفصل الخامس

المبحث الأول : المعجزة عند الفارابي

المعروف لنا أن المعجزة ، هي أمر خارق للعادة يعجز الناس عن الإتيان بمثله ، بينما الفلاسفة – المسلمون – لهم رأي آخر في المعجزة مخالف لما أجمع عليه علماء الدين؛ ولا سيما الفارابي، وأسلوبه يمتاز بالإيجاز، في تعبيره عن الفكرة ، وهذا أيضًا عن فهمه للمعجزة . حيث يرى أن المعجزات تتحقق للنبي عندما تجتمع فيه خصال ثلاث هي :

أولها : أن يكون النبي صاحب عقل قوي جدًا .

ثانيها : أن يكون النبي صاحب مخيلة قوية جدًا .

ثالثها : أن يكون لنفسه من القوة ما يمكنه التغيير في هيولي الأشياء ، بحيث تكون له السيطرة على العالم العلوي والسفلي . وهذه أهم خصلة في تحقق المعجزات للأنبياء .

وقد فسر الفارابي المعجزة تفسيرًا علميًا ، حيث يقول : " إن النبوة مختصة في روحها بقوة قدسية ، تذعن لها غريزة عالم الخلق الأكبر ، كما تذعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر ، فتأتي بمعجزات خارجة عن الجبلة، والعادة ، ولا تصدأ مرآتها ، ولا يمنعها شيء عن انتقاش ما في اللوح المحفوظ"[(١)].

ويتبين من نص الفارابي أنه مؤمن بأن النفس ، متى قويت ولم تستغرقها الحواس، اجتمعت فيها ثلاث خواص .

ونجد الإيجي في كتابه "المواقف" يبين لنا الخواص الثلاث؛ حيث يقول : النبي من اجتمع فيه خواص ثلاث يمتاز بها عن غيره :

الأولى : أن يكون له إطلاع على المغيبات الكائنة ، والماضية والآتية ، ولا يستنكر هذا الإطلاع ؛ لأن النفوس الإنسانية مجردة في ذاتها عن المادة ، ولها

---

(١) فصوص الحكم، الفارابي، ص ١٤٥ – ١٤٦ .

نسبة في التجرد إلى المجردات المنتقشة بصور ما يحدث في هذا العالم العنصري الكائن الفاسد ، ولكونها مبادئ له ، فقد تتصل النفس الناطقة بها – أي بتلك المجردات . اتصالاً معنويًا وتنجذب إليها بواسطة الجنسية ، وتشاهد ما فيها من صور الحوادث فتحكيها ، أي يرتسم فيها من تلك الصور ما لا تستعد هي لارتسامه فيها كمرآة يحاذي بها مرآة أخرى فيها نقوش ، فينعكس منها إلى الأولى ما يقابلها .

ويؤيده : ما ترى النفوس – أي رؤية النفوس البشرية – وما هي عليها من التفاوت – في إدراك المعانى العقلية – في طرفي الزيادة والنقصان ، متصاعدًا إلى النفوس القدسية التي تدرك النظريات الكثيرة الحدس في أقرب زمان غير أن يعرض لها غلط ، ومتناولاً إلى البليد الذي لا يكاد يفقه قولاً ، وكيف وقد يوجد فيمن قلت شواغله لرياضة ، أو مرض أو نوم ، قلنا : مردود؛ إذ الإطلاع على جميع المغيبات لا يجب للنبي اتفاقًا ، والبعض لا يختص به كما أقررتم به، ثم إحالة ذلك على اختلاف النفوس وضعفها مع اتحادها بالنوع مشكل وباقي المقدمات خطابية .

وثاني الأمور المختصة بالنبي :

أن يظهر منه الأفعال الخارقة للعادة ، لكون هيولي عالم العناصر مطيعة منقادة لتصرفاته انقياد بدنه لنفسه ، ولا يستنكر ، فإن النفوس الإنسانية وهي بتصوراتها مؤثرة في المواد كما نشاهد من الاحمرار ، والاصفرار ، والتسخن عند الخجل والوجل والغضب ، ومن السقوط من المواضع العالية القليلة العرض ، بتصور السقوط وإن كان ممشاة في غيرها أقل عرضًا ، فلا يبعد أن تقوى نفس النبي حتى تحدث بإرادته في الأرض رياحًا، وزلازل ، وحرقًا، وغرقًا ، وهلاك أشخاص ظالمة ، وخراب مدن فاسدة ، وكيف يستنكر حدوث هذه الأمور الخارقة العجيبة من النبي ونشاهد مثلها من أهل الرياضة والإخلاص .

قلنا : هذا بناء على تأثير النفوس في الأجسام ، والمقارنة لا تعطيه ، مع أنه لا يختص بالنبي .

وثالثها : أن يرى الملائكة مصورة ، ويسمع كلامهم وحيًا ، ولا يستنكر أن يحصل له في يقظته مثل ما يحصل للنائم في نومه ، لتجرد نفسه عن الشواغل البدنية وسهولة انجذابه إلى عالم القدس ، وربما الانجذاب والاتصال بعالم القدس ملكة ، ويحصل بأدنى توجه .

قلنا : هذا تلبيس وتستر ، بعبارة لا يقولون بمعناها ؛ لأنهم لا يقولون بملائكة يرون ، بل الملائكة عندهم نفوس مجردة ، ولا كلام لهم يسمع ؛ لأنه من خواص الأجسام ومآله إلى تخيل ما لا وجود له في الحقيقة ، كما للمرضى والمجانين ، على ما صرحوا به .

ولو كان أحدنا آمرًا وناهيًا من قبل نفسه بما يوافق المصلحة ويلائم العقل ، لم يكن نبيًا باتفاق ، فكيف . يكون نبيًا من كان أمره ونهيه . من قبل ما يرجع إلى تخيلات لا أصل لها ، أو ربما خالف المعقول .

هذا : ثم إنهم قالوا : من اجتمعت فيه هذه الخواص ، انقادت له النفوس البشرية المختلفة ، مع ما جبلت عليه من الآباء ، وذلت له الهمم المتفاوتة ، على ما هي عليه من اختلاف الآراء ، فيصير سببًا لقرار الشريعة التي بها يتم التعاون الضروري لنوع الإنسان ، من حيث إنه لا يستقل بما يحتاج إليه في معاشه ، دون مشاركة من أبناء جنسه في المعاملات ، والمعاوضات ، ولولا شريعة ينقاد لها الخاص والعام ، لاشرأبت كل نفس إلى ما يريده غيره ، وطمح – أي ارتفع – عين كل إلى ما عند الآخر ، فحصل التنازع ، وأدى إلى التواثب والتشاجر ، والتقاتل والتناحر ، وشمل الهرج والمرج ، واختل أمور المعاش والمعاد ، فوجب في الطبيعة لما علم من شمول العناية فيما أعطى كل حيوان من الأكلات ،

وهدى إلى ما فيه بقاؤه وبه قوامه ، سيما نوع الإنسان وهو أشرف الأنواع ، سخر له ما عداه ، وهذا من أعظم مصالحه أفترى الطبيعة تهمل ذلك ؟ كلا !! [(١)].

ومن كلام الفارابي وتصوير الإيجي لرأي الفلاسفة : يتبين أن المعجزات المعنوية ترجع إلى كمال عقل النبي، أي تكون المعجزة بتأثير نفس البدن، ولذلك فهي ضرب من الاكتساب بالمجاهدة ، أو تابعة لخاصية، في النفس بطبيعتها ، أو تحصل لمزاج خاص ، ومن ذلك ندرك أن المعجزة لدى الفارابي والفلاسفة – المسلمين – كسبية، وبذلك لا يوجد فرق عندهم من ظهورها على يد الأنبياء والأولياء والصالحين والعارفين بالله ؛ لأن كل من قويت نفسه على الاتصال بالعقل الفعال يكون له معجزة ، ولا يمتنع عندهم ظهورها على أيدي السحرة ، والكهان والمشعوذين ، فتكون من نفس خبيثة شريرة[(٢)].

ولذلك فقد فسر الفارابي ، ومن ذهب إلى مذهبه ، المعجزة المعنوية والحسية تفسيرًا نفسيًا ماديًا ؛ لأن المعجزات المعنوية ، صادرة من العقل الفعال، بطريق اتصال مخيلة النبي ، وإنه يمكن أن يأتي بهذه الخوارق في أي وقت يشاء .

ولذلك نلاحظ أن المعجزة عند الفارابي هي :

أمر خارق لعادة البشر ، حاصل من كمال العقل ، أو اتصال المخيلة بالعقل الفعال ، أو تأثير نفوس الأنبياء على الطبيعة .

وتوضيحًا لذلك :

فلوقوع المعجزة عند الفارابي لا بد أن تتوافر في النبي شروط أساسية .كما وضحنا من قبل . وباختصار هي :

---

(١) راجع المواقف – الإيجي، صـ ٢١٩ – ٢٢٢ نقلاً عن موقف المشائية الإسلامية من النص الديني د / إنشاد محمد علي، ص ٣٠٢ ، ٣٠٤ – مكتبة شقرون – بدون .

(٢) انظر الإشارات والتنبيهات – ابن سينا، بشرح الطوسي ، تحقيق: د / سليمان دنيا، ق ٣ ، ٤ ، صـ ٨٩٧ ، ٨٩٨ .

أن تكون نفسه قوية في جوهرها قوة مفرطة بشرط أن تؤثر هذه القوة في هيولي الأشياء ، بتغيير صورة إلى أخرى كحدوث الزلازل وما يشابه ذلك من خوارق العادات .

وهذه القوة في النفس متدرجة :

أولاً : أن تكون علاقتها بالبدن علاقة تدبير وتصرف ، بأن تتصرف في بدنها بما تشاء .

ثانيًا : وهذه العلاقة تؤثر النفس في البدن ، بطريق الظن أو الوهم أو الخوف.

قال ابن سينا :

" وعلمت أن تمكن هيئة العقد منها ، ما يتبعه ، قد يتأدى إلى بدنها ، مع مباينتها له في الجوهر "[1].

ثالثًا : النفس البشرية إذا كانت شبيهة بنفوس الأفلاك التي لها تأثير على العالم فهي أيضًا لها تأثير في العالم كما هو لنفوس الأفلاك .

وبالشروط التي اشترطها الفارابي في النبي يمكن ظهور المعجزات على أيدي الأنبياء ؛ لأنه كما كانت النفوس العلوية والعقل الفعال يؤثر في هيولي العالم السفلي تأثيرًا قويًا فإن النفوس الإنسانية أيضًا لها نفس التأثير .

وتوضيح ذلك :

إن النفس إذا توهمت شيئًا خدمتها الأعضاء، فتحركت إلى الجهة المتخيلة المطلوبة ، حتى ولو توهم شيئا طيب المذاق، انتهضت القوة اللعابية فياضة باللعاب من معادنه .

وذلك يختلف باختلاف صفاء النفوس ، ولا يبعد أن تخدم القوة الطبيعية التي خارج البدن قوة النفس عندما تبلغ قوتها إلى حد كبير أن تؤثر في هيولي الأشياء.

– أي يتعدى تأثير النفس من بدنها إلى التأثير في هيولي الأشياء – أي أنه إذا أطاعه بدنه ، فلا يمتنع أن يطيعه غير بدنه، فتطلع نفسه إلى هبوب ريح أو

---

(١) المرجع السابق، ابن سينا، ق ٣، ٤ ص ٨٩٣ ، شرح فصوص الحكم، الفارابي، ص ١٠٢ .

نزول مطر وما شاكل ذلك . وذلك موقوف حصوله على حدوث برودة أو سخونة أو حركة في الهواء ، فيحدث من تلك السخونة أو البرودة بأن تتولد له هذه الأمور ، ويكون ذلك معجزة للنبي . عليه السلام . ولكنه إنما يحصل ذلك في هواء مستعد للقبول ، ولا ينتهي الأمر إلى ذلك ، بل يمكن أن ينقلب الخشب حيوانًا، وينفلق القمر ، الذي لا يقبل الانخراق(١).

ومما سبق يتضح لنا أن رأي الفارابي في المعجزات والخوارق الأخرى مبني على العقل ، وعلى تخيل النفس وقواها – كما وضحنا – ورأيه هذا يخالف رأي علماء الكلام ، وما جاء به القرآن الكريم – من أن الله – تعالى – قادر(٢).

والفارابي ومن ذهب مذهبه من الفلاسفة – المسلمين – ، أنكروا صراحة المعجزات التي لا توافق أصولهم ، وأولوا ما جاء في القرآن من إحياء الموتى، أرادوا به موت الجهل بحياة العلم ، وأولوا تلقف العصا لحبال السحرة بأنه إبطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد موسى . عليه السلام، وأما شق القمر فقد أنكروا وجوده وزعموا أنه لم يتواتر(٣).

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٨٢، الإشارات والتنبيهات، ابن سينا، ق ٣، ٤ ص ٨٩٥ – تهافت الفلاسفة – الغزالي – تحقيق د/ سليمان دنيا ، ص ٢٣٦ ، ط الثالثة .

(٢) انظر: تهافت الفلاسفة . الغزالي، ص ٢٣٦ ط ٣ .

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٣٤ ط٣ .

الفصل السادس

الشبه الواردة على المعجزات

وعلى وجه دلالتها على صدق الرسول

تمهيد :

إن الأمر الظاهر الوضوح الذي يشغل بال المنكرين ، هو محاولات مستميتة لإبطال كل ما يؤيد دعوى النبوة ، ولذلك نجدهم يوردون شبهات عديدة واحتمالات حول المعجزات ومدى كونها مصدقة للأنبياء في دعواهم ، ويريدون من هذه الشبهات إبطال دلالة المعجزة ، على صدق مدعي النبوة ، وإذا فقد دليل الصدق بطلت الدعوى وهي النبوة .

وقد أورد هذه الشبهات صاحب المواقف "عضد الدين الإيجي" وكذلك صاحب المقاصد " سعد الدين التفتازاني " وغيرهما من المتكلمين .

وسوف نذكر هذه الشبهات كما ذكرها صاحب المواقف، ثم ندعم ذلك بما ذكر في الكتب الأخرى وخاصة المقاصد .

المبحث الأول : الشبه الواردة على المعجزات ورد المتكلمين عليهم

الشبهة الأولى :

وهي للطائفة الرابعة الذين قالوا :" بامتناع المعجزة لأن تجويز خرق العادة سفسطة ، ولو جوزناه لجاز انقلاب الجبل ذهبًا ،وماء البحر دمًا ودهنًا ، وأواني البيت رجالاً ، وتولد هذا الشيخ دفعة واحدة بلا أب وأم، وكون من ظهرت المعجزة على يد غير من ادعى النبوة بأن يعدم المدعي ويوجد مثله "[1].

الجواب عن هذه الشبهة كما يذكر صاحب المواقف :

"أن خرق العادات ليس أعجب من أول خلق السماوات والأرض ، وما بينهما ، ومن انعدامهما الذي نقول به ، والجزم بعدم وقوع بعضها لا ينافي إمكانها ، وذلك

(1) المواقف ، عضد الدين الإيجي، ج ٨ ، ص ٢٣٥ ،٢٣٦ .

كما في المحسوسات ، فإنا نجزم بأن حصول الجسم المعين ، في الحيز المعين ، لا يمتنع فرض عدمه بدله مع الجزم به للحس ، والعادة أحد طرفي العلم كالحس، ثم إن خرق العادة إعجازًا وكرامة عادة مستمرة " [١].

نلاحظ أن هذه الشبهة تدور حول امتناع تجويز خوارق العادات .

الشبهة الثانية :

وهي للطائفة الخامسة كما يذكر صاحب المواقف : وهي للقائلين بأن ظهور المعجز لا يدل على الصدق في دعوى النبوة لاحتمالات ثمان أوردوها في ذلك، وفيما يلي سوف أذكر هذه الاحتمالات والأجوبة عنها .

الاحتمال الأول :

"كون هذا المعجز من فعله لا من فعل الله – تعالى – ، إما لمخالفة نفسه لسائر النفوس أو لمزاج خاص في بدنه ، أو لكونه ساحرًا ، وقد أجمعتم على حقيقته ، أو لطلسم اختص بمعرفته ، أو لخاصية بعض المركبات .. . كالمغناطيس والكهرباء "[٢] .

يدور هذا الاحتمال على أن المعجز الذي ظهر على يد المدعي للنبوة ، ليس من فعل الله – تعالى – ، وإنما من فعل المدعي ، وذلك إما لمخالفة نفسه لسائر النفوس البشرية في الماهية ، فيجوز أن يصدر عن بعضها ما لا يقدر عليه بعض آخر منها ، وإما أن يكون مزاجه أقوى من أمزجة أقرانه ، فيقوى به على فعل يعجز عنه غيره ، وإما لكونه ماهرًا في السحر ، وهو ما أجمع عليه

---

(١) المرجع السابق، جـ٨ ، ص٢٣٦ ، وقارن شرح المقاصد، التفتازاني، جـ٢ ص ١٣٢ .

(٢) المرجع السابق، جـ٨ ، ص ٢٣٦ ،٢٣٧ ، قارن شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني، جـ٢ص ١٣١ ،١٣٢ .

المسلمون من أنه يؤثر في أمور غريبة ، وإما لمعرفته لطلسم[1] من الطلاسم التي تؤثر تأثيرات غريبة .

والجواب عن هذا الاحتمال :

اتفق " الإيجي " ، والتفتازاني " على : أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله – تعالى – وقد قام البرهان على ذلك ؛ لكنها ممكنة ، وكل ممكن من متعلقات قدرته سبحانه – وتعالى – وهو الخالق لكل شيء ، صغيرًا كان أو كبيرًا . ولا خلاف بين المتكلمين من المعتزلة أو أهل السنة ، فلا تكون المعجزة مستندة إلى غيره ، كما أن السحر ونحوه لا مؤثر فيه إلا الله – تعالى – إلا إذا بلغ السحر حد الإعجاز ، مثل خلق البحر ، وإحياء الموتى ، فإنه حينئذ يكون معجزة ، وليس سحرًا ، كما هو عند جميع العقلاء من الناس ، فإذا كان خارجًا عن دعوى النبوة والتحدي فيكون سحرًا، وليس معجزة ؛ لأنه مما يقدر على معارضته ؛ لأن الله ، تعالى ، لو جعل السحر يبلغ حد الإعجاز ، لكان فيه تصديق للكاذب وهذا محال[2].

ولهذا فالمعجزة عند المعتزلة كغيرهم من المتكلمين[3] أمر خارق للعادة ، ولا تدخل تحت مقدور العباد ، فهم يقولون إن المعجزة تكون فعلاً للنبي واقعًا بأمر الله – تعالى – وتمكينه ، ولولا ذلك ما استطاع النبي أن يأتي بالمعجزة .

إذن فأمر المعجزة يعود إلى الله ـ تعالى ـ حتى وإن كانت فعلاً من النبي .

---

(١) الطلسم : عبارة عن تمزيج القوى السماوية الفعالة بالقوى الأرضية المنفعلة ، وذلك أن القوى السماوية أسباب لحدوث الكائنات العنصرية ، ولحدوثها شرائط مخصوصة بها يتم استعداد القابل ، فمن عرف أحوال الفاعل والقابل وقدر على الجمع بينهما عرف ظهور آثار مخصوصة غريبة . المواقف، جـ٨ ، ص ٢٣٧ .

(٢) انظر: شرح المواقف الإيجي ص ٢٣٩، وراجع شرح المقاصد التفتازاني، جـ٢، ص ١٣١ .

(٣) راجع: شرح الأصول الخمسة، ص ٥٦٩ ، القاضي عبد الجبار .

الاحتمال الثاني :

وهو احتمال أن يسند ذلك المعجز إلى بعض الملائكة أو الشياطين ، أو إلى الاتصالات الكوكبية ، وهو قد أحاط من صناعة النجامة بما لم يحط به غيره ، فاتخذ ما علم وقوعه من الغرائب معجزًا لنفسه .

ويجاب عن هذا الاحتمال بأنه لا خالق إلا الله – تعالى – .

الاحتمال الثالث :

أن يكون ذلك المعجز الخارق كرامة لا معجزة .

ويجاب عنه :

بأن الكرامة لا تبلغ درجة المعجزة ، ولا تقع على القصد ، وهي تقع مع دعوى الولاية دون النبوة ، وعلى جميع التقادير فالفرق بينها وبين المعجزة ظاهر[1].

الاحتمال الرابع :

ألا يقصد به التصديق ؛ إذ لا غرض واجبًا ، ولا يتعين ؛ إذ لعله غير التصديق كإيهامه ليحترز عنه بالاجتهاد فيثاب ، كإنزال المتشابهات ، أو لتصديق نبي آخر[2].

ونلاحظ أن هذه الشبهة وجهت إلى الأشاعرة واعتمد أصحاب هذا الاحتمال على أن أهل السنة منعوا ثبوت الغرض في أفعاله – تعالى – ، فقال أصحاب هذا الاحتمال : لعل وقوع هذا الخارق لغرض آخر ، سوى تصديق دعوى النبوة، كأن يكون كرامة لولي ؛ لأنهم قالوا : إن أفعال الله .تعالى . غير معللة بالأغراض ، والأغراض كلها منتفية عن أفعاله . فيمكن أن يكون قد أظهر الله – تعالى – هذا الخارق لغرض آخر ، مثل أن يكون لطفًا بمكلف، أو إجابة لدعوته،

---

(١) راجع: شرح المواقف الإيجي، جـ٨ ، ص ٢٣٨ ،٢٣٩ .

(٢) المواقف، جـ٨، ص ٢٣٨ ، الإيجي .

أو ابتلاء ، أو اختبارًا ، أو إضلالاً من الله – تعالى – للخلق؛ ومذهب الأشاعرة يجوز الإضلال على الله – تعالى – .

وقد أجاب صاحب المواقف على هذه الشبهة بقوله :

إنا لا نقول بأن خلق المعجزة لغرض التصديق ؛ لأن أفعاله عندنا غير معللة بالأغراض ، بل نقول أن خلقها على يد المدعي يدل على تصديق له، قائم بذاته – تعالى – .

أما على القول بإسناد الحوادث إلى القادر المختار فهذا ظاهر ، وأما على القول بالموجب فلأنه يجوز أن يحدث شكل غريب سماوي يقتضي تلك الحمرة في الشخص الذي يحصل فيه الخجل[1].

وقد أجاب السعد عن هذا الشبهة بأن انتفاء الغرض في أفعاله – تعالى –، لا ينفي الحكمة أو على حد تعبيره "أنه لا خفاء ولا خلاف في ترتب الغايات ، والآثار على بعض أفعاله وإن لم يجعلها أغراضًا له "[2] .

وهذا قول حق فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي يفهم منها هذا المعنى .

منها قوله تعالى:﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً..** ﴾ [3]؛ فقد بين الله – عز وجل – لنا الغاية من خلقها وهو الركوب والزينة.

كما علل الله – تعالى – الغاية من خلق الليل والنهار في قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ..** . ﴾ [4].

---

(١) راجع: شرح المواقف، جـ٨ ، ص ٢٣٩ .

(٢) شرح: المقاصد . سعد الدين التفتازاني، جـ٢ ، ص ١٣٢ .

(٣) سورة النحل من آية : ٨ .

(٤) سورة الإسراء من آية : ١٢ .

ويوجد بالقرآن الكريم الكثير من الآيات المفيدة لبيان العلل والأغراض العائدة على المخلوقات ، لا إلى الله سبحانه وتعالى .

وإذن فالأمر الخارق للعادة لم يظهره الله على يد النبي لغرض أصلاً لانتفاء الأغراض عن الله – تعالى – في أفعاله ؛ لأنها تشعر بالحاجة، والحاجة علامة النقص والحدوث، ولذلك نفاها الأشاعرة .

ويرد الشهرستاني على تلك الشبهة التي يثيرونها :

من جواز إظهار الله . تعالى . المعجزة على يد مدعي النبوة كذبًا ويكون الغرض منها إضلال الخلق .

ويقرر الشهرستاني في ذلك أن الأشاعرة يجوزون أن يقع الإضلال من الله –تعالى – للخلق ، لكن بشروط هي :

١ – ألا يقع خلاف المعلوم .

٢ – ألا يتناقض الدليل والمدلول ، ولا يلتبس الدليل بالشبهة .

٣ – ألا يؤدي الأمر إلى التعجيز .

٤ – ألا يؤدي إلى التكذيب في القول(١).

والله – تعالى – إذا علم أنه يرسل رسولاً يهتدي به قوم فهو – تعالى – ينصب دليلاً يستدل به القوم على صدق الرسول . فلو أضلهم بغير ذلك الدليل لوقع الأمر على خلاف المعلوم، وذلك أيضًا محال، وأيضًا فإنه إذا أخبر الله – تعالى – أنه يرسل رسولاً يهتدي به ، ثم أضل كل من بعث إليه لتناقض الخبر ، وتبدل الصدق كذبًا ، وذلك محال ؛ لأن الكذب لا يجوز على الله – تعالى – ولا يجوز ذلك عليه لأن الكذب إخبار عن الشيء على خلاف ما هو به ، والله – تعالى – يعلمه على ما هو به ، ومن علم شيئًا كان له خبر عن معلومه . والخبر عن

---

(١) راجع: نهاية الإقدام للهشرستاني، ص ٤٤٠ حرره وصححه: الفردجيوم . مكتبة الثقافة الدينية ، بدون تاريخ .

المعلوم هو خبر عما به ؛ لأنه لا يجتمع في العالم خبران متناقضان ، والله . تعالى . إذا علم صدق شخص ، وأخبر عن صدقه فقد صدقه ، ومن صدقه فلا يجوز أن يكذبه[١].

الاحتمال الخامس :

يقول عنه صاحب المواقف :

إنه لا يلزم من تصديق الله – تعالى – صدقه ، إلا إذا علم استحالة الكذب على الله ، إذ لا يصح عندكم منه شيء؛ ومبني هذا الاحتمال ، على عدم لزوم صدق الإنسان الذي ظهر عليه ، الأمر الخارق للعادة ، أن الله صدقه ، إلا إذا علم استحالة الكذب على الله ، ولم يعلم ذلك عقلاً ؛ لأنه لا يصح عندكم منه شيء ، ولا سمعًا للزوم الدور .

ونحن نجيب عليهم بامتناع الكذب عليه – سبحانه وتعالى – ؛ لأن الكذب إخبار عن الشيء على خلاف ما هو به ،– والله – تعالى – يعلمه على ما هو به ، ومن علم شيئًا كان له خبر عن معلومه ، والخبر عن المعلوم هو خبر عما به ؛ لأنه لا يجتمع في العالم خبران متناقضان ، والله تعالى . إذا علم صدق شخص وأخبر عن صدقه ، فقد صدقه ، ومن صدقه فلا يجوز أن يكذبه .

ولهذا لا يجوز أن يتناقض الدليل والمدلول ؛ لأن جهة الدلالة في القرينة، وفي الفعل لا تختلف ؛ لأنه إذا دل الشيء على الشيء فإنه لا يجوز أن يدل على خلافه ، وذلك غير مقدور عليه ؛ ولأن جهة التخصيص إذا دلت على الإرادة ، لم تدل على خلاف ذلك ، فكذلك جهة التخصيص بالتصديق فإنها لا تدل على خلاف قصد المخصص بالتصديق " فإرسال رسول وإخلاؤه عن دليل الصدق ، وإظهار معجزة ، والقصد بها إضلال الخلق ، وإظهار خارق للعادة على يد كاذب في معارضة دعوى النبي ، كل ذلك محال ، لما ذكرناه أنه يؤدي إلى محال

(١) المرجع السابق، ص ٤٤١ .

كإخلاء النظر الصحيح التام عن الإفضاء إلى العلم ،وكنصب دلالة التوحيد لتدل على الشرك "[١] .

الاحتمال السادس: كما يذكره صاحب المواقف :

لعل التحدي لم يبلغ من هو قادر على المعارضة ، أو لعله تركها مواضعة في إعلاء كلمته ، لينال من دولته حظًا[٢].

وقد أجاب عن ذلك صاحب المواقف بقوله :

إنه إذا أتى مدعي النبوة بما يعلم بالضرورة أنه خارق للعادة،وعجز من في قطره عن المعارضة ، علم ضرورة صدقه في دعواه[٣].

وقد أجاب عن ذلك السعد، فقال : إن المتحدين عجزوا عن المعارضة ، مع كونهم أحق بها إن أمكنت ، لكثرة اشتغالهم بما يناسب ذلك ، وكمالهم فيه وفرط اهتمامهم بالمعارضة وتوفر دواعيهم ، ولهذا كانت معجزة كل نبي من جنس ما غلب على أهل زمانه ،وتهالكوا عليه وتفاخروا به،كالسحر في زمن موسى . عليه السلام – ، والطب في زمن عيسى – عليه السلام – ، والموسيقى في زمن داود – عليه السلام – ، والفصاحة في زمن محمدﷺ [٤].

ونخلص مما تقدم إلى أن مدعي النبوة إذا أتى بأمر خارق للعادة ، وعجز قومه الذين بعث بينهم عن معارضته مع تحديه لهم علم صدقه في دعواه ضرورة.

وأما احتمال أن القوم تواضعوا معه على إعلاء كلمته فبعيد جدًا؛ فإن المعروف والمعتاد أن الشخص إذا انفرد من بين قومه ، وأتى بأمر من شأنه أن يجعله صاحب سلطان عليهم ، ويرجعون إليه في جميع شئونهم؛ فإنهم يبادرون

---

(١) راجع: هذا الرد في شرح المواقف جـ٨ص ٢٤٠، نهاية الإقدام للشهرستاني، ص ٢٤١، ٢٤٢ .

(٢) المواقف الإيجي، جـ٨ ، ص ٢٣٨ .

(٣) شرح المواقف، جـ٨ ، ص ٢٤٠ .

(٤) راجع: شرح المقاصد، سعد الدين التفتازاني، جـ٢ ، ص ١٣٢ .

على معارضته بقدر ما يمكنهم ، وذلك للحفاظ على سلطانهم وبقاء الأمر في أيديهم .

وأيضًا احتمال " عدم نقل المعارضة لمانع " بعيد أيضًا، بل تمنعه العادة؛ لأن تحقق المانع في بعض الأوقات وبعض الأماكن لا يوجب تحققه في جميع الأوقات والأماكن ، فلو وقعت معارضة لاستحال إخفاؤها مطلقًا .

وأيضًا احتمال "ترك المعارضة للاحتمالات المذكورة " تمنعه العادة والعقل؛ لأنه يترتب عليه إذلالهم بعد عزتهم . وقهرهم وخضوعهم وزوال سلطانهم ، وهذا لا تقبله النفوس البشرية بمقتضى طبعها واستعدادها .

وإذن فمعجزات الأنبياء مما لا يمكن معارضته ، وإذن فهي مصدقة لهم في دعواهم النبوة .

الاحتمال السابع : يذكره صاحب المواقف بقوله :

لعلهم استهانوا به أولاً وخافوه آخرًا لشدة شوكته ، أو شغلهم ما يحتاجون إليه في تقويم معيشتهم عنه .

وقد أجاب عنه بقوله أنه يعلم عادة ، أي بالضرورة العادية الوجدانية المبادرة بلا توان ، إلى معارضة من يدعي الانفراد بأمر جليل فيه التقوى على أهل زمانه، واستتباعهم والحكم عليهم في أنفسهم وما لهم ، ويعلم بالضرورة أيضًا عدم الإعراض عن المعارضة ،بحيث لا ينتدب له أحد ، والقدح فيه سفسطة ، وحينئذ فدلالته من جهة الصرفة واضحة ، فإن النفوس إذا كانت مجبولة على ذلك كان صرفها عنه أمرًا خارقًا للعادة دالاً على صدق المدعي ، وإن كان ما أتى به مقدورًا لغيره(١).

الاحتمال الثامن :

لعله عورض ولم يظهر لمانع ، أو ظهر ثم أخفاه أصحابه عند استيلائهم، وطمسوا آثاره ، ومع قيام هذه الاحتمالات لا يبقى لها دلالة على الصدق .

---

(١) راجع هذا الاحتمال والجواب عنه في شرح المواقف، جـ٨ ، ص٢٣٨ ،٢٤٠ .

وقد أجاب عليها صاحب المواقف بقوله :

كما علم بالعادة وجوب معارضته على تقدير القدرة ، علم بالعادة أيضًا وجوب إظهارها ، إذ به يتم المقصود ، واحتمال المانع للبعض في بعض الأوقات والأماكن لا يوجب احتماله في جميع الأوقات والأماكن ، بل هذا معلوم الانتفاء بالضرورة العادية ، فلو وقعت معارضة لاستحال عادة إخفاؤها مطلقًا ، من أصحاب المدعي عند استيلائهم ومن غيرهم أيضًا .

وبذلك تندفع الاحتمالات كلها ، وتثبت الدلالة القطعية على جواز الأمر الخارق للعادة ، وهو ما يسمى بالمعجزة التي يظهرها الله . تعالى . على يد من يدعي النبوة تصديقًا له في دعواه[1].

شبهة الطائفة السادسة :

تمهيد : وهذه الطائفة ترى أن العلم بحصول المعجزة لا يمكن لمن لم يشاهده إلا بطريق النقل ، وهو إما الآحاد أو التواتر ، وطريق الآحاد لا يفيد اليقين ، فلا عبرة به ، كما أنهم قدحوا في طريق التواتر أيضًا ، فإنه عندهم لا يفيد اليقين ؛ لأن أهل التواتر يجوز الكذب على كل واحد منهم ، وما جاز على الجزء يجوز على الكل ؛ لأن الكل نفس الآحاد ، وعلى ذلك فالتواتر لا يفيد اليقين ، وبذلك ينكرون العلم بحصول المعجزة .

شبهة الطائفة السادسة القائلين : بأن العلم بحصول المعجز لا يمكن لمن لم يشاهده إلا بالتواتر ، والتواتر لا يفيد العلم لوجوه :

الأول : أهل التواتر يجوز الكذب على كل واحد منهم ، فكذا الكل؛ إذ ليس كذب الكل إلا كذب كل واحد .

الثاني : أن حكم كل طبقة حكم ما قبلها بواحد ، فإن من جوّز إفادة المائة للعلم ، أجاز التسعة والتسعين له قطعًا ولم يحصره في عدد ، وادعاء الفرق تحكم فلتفرض طبقة لا تفيده ، ثم نزيد عليه واحدًا واحدًا فلا يفيده بالغًا ما بلغ .

---

(١) راجع هذا الاحتمال والجواب عنه في شرح المواقف، جـ٨ ، ص٢٣٨، ٢٤٠ .

الثالث : لو أوجب التواتر العلم لأوجبه خبر الواحد واللازم منتف .

بيان الملازمة : أن التواتر لا يشترط في اجتماع أهله اتفاقًا ، بل يحصل بخبر واحد بعد واحد ، فالموجب له هو الخبر الأخير .

الرابع : شرطه استواء الطرفين والواسطة،ولا سبيل إلى العلم به .

الخامس : أن التواتر غير مضبوط بعدد ، بل ضابطه عندكم حصول العلم به، فإثبات العلم به مصادرة .

وقد أجاب صاحب المواقف : عن هذه الوجوه التي ذكرها أصحاب هذه الشبهة بما يأتي .

فقد أجاب عن الأول :

بالمنع : أي منع مساواة حكم الكل لحكم محل واحد لما يرى في قوة العشرة على تحريك ما لا يقوى عليه كل واحد ، فلا يلزم من جواز الكذب على كل واحد على الانفراد جواز الكذب على أفراد مجتمعة [(١)].

وقد أجاب عن الثاني :

بأن حصول العلم عند التواتر عند الأشاعرة إنما هو بخلق الله – تعالى – إياه، وقد يخلقه بعدد دون عدد ، فلا نسلم تساوي طبقات الأعداد في احتمال الكذب ، وعدم إفادة العلم . كيف وحصول العلم بطريق تواتر الإخبار يختلف بالوقائع والمخبرين والسامعين ، فقد يحصل العلم في واقعة بعدد مخصوص ، ولا يحصل به في واقعة أخرى ، وقد يحصل بإخبار جماعة مخصوصين ، ولا يحصل بإخبار جماعة أخرى ، تساويهم في العدد ، وكذا يحصل العلم لسامع من عدد ، ولا يحصل لسامع آخر من ذلك العدد[(٢)].

أما الجواب عن الثالث :

والذي قالوا فيه لو أوجب التواتر العلم لأوجبه خبر الواحد ، واللازم منتف .

(١) راجع: شرح المواقف، جـ٨، ص ٢٣٨ ،٢٤٠ .

(٢) راجع: شرح المقاصد التفتازاني، جـ٢ ، ص ١٣١ .

فيقول في الجواب عنه :

إن العلم عقيب التواتر عندنا ، معاشر أهل السنة بخلق الله ، فقد يخلقه بعد إخبار عدد دون خبر واحد منفرد ، فلا يكون الخبر الأخير موجبًا له .

وأما عند الحكماء والمعتزلة : فلأن الأخبار الصادرة عن أهل التواتر أسباب معدة لحصول العلم ، لا موجبة له . وهذه الأسباب المعدة قد لا تجامع المسبب، بل تكون متقدمة عليه ، فللأخبار السابقة مدخل في حصول العلم ، كالخبر الأخير ، وفاعله شيء آخر – وهذا الوجه يناسب أصول الحكماء ، والمناسب لأصول المعتزلة ما ذكره بقوله: " ثم إنا نجد من أنفسنا أن الخبر الأول يفيد ظنًا، ويقوي ذلك الظن بالثاني والثالث . وهكذا إلى أن ينتهي إلى ما لا أقوى منه . فيلزم أن الموجب له هو الخبر الأخير ، بشرط سبق أمثاله ، وهو المراد بكون التواتر مفيدًا للعم ، فلا يلزم أن يكون خبر الواحد المنفرد موجبًا له .

وأما الجواب عن الرابع والخامس :

فإنا ندعي العلم الضروري الحاصل من التواتر الواقع في نفس الأمر ، على شرطه وضابطه ، فإن حصول التواتر في نفس الأمر مشتملاً على ما يعتبر فيه من الشرائط ، وإفادته للعلم الضروري بما تواتر الإخبار عنه ، أمر لا شبهة فيه؛ إذ لا سبيل إلى العلم الضروري بالبلاد النائية ، والأشخاص الماضية ، سوى التواتر وليس يعتبر في ذلك العلم بالشرط الذي هو الاستواء حتى يقال إنه غير معلوم ، ولا العلم بضابطه حتى يلزم منه الدور[1].

---

(١) راجع: شرح المواقف، جـ٨، ص ٢٣٩ ،٢٤٢ بشرح الجرجاني .

المبحث الثاني

ما أثاره الفلاسفة حول المعجزات والرد عليهم

تمهيد :

قد سبق أن عرضنا شبهات المنكرين ، والمعترضين على المعجزة[1]، والتي تنتهي بهم إلى إنكار النبوة والرسالة .

وقد عرضنا فيما سبق رد المتكلمين عليهم ، وفيما يلي سوف نذكر ما أثاره الفلاسفة حول المعجزة والرد عليهم .

وبالرغم من أن الفلاسفة أقروا بمعجزات الأنبياء ، كما أقر بها المتكلمون ، إلا أن الخلاف بين الفريقين يكمن في نقطتين هما :

الأولى : تفسير كل منهما للمعجزة .

الثانية : كيفية حصول الأنبياء عليها .

وقد سبق أن عرفنا المعجزة عند المتكلمين : بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ، مع عدم المعارضة[2].

وأيضًا قد سبق تعريف المعجزة عند الفلاسفة المسلمين ، بأنها مكتسبة عن طريق مجاهدة النفس ، أو تكون تابعة لخاصية في طبيعة النفس ، أو تحصل لمزاج خاص[3].

فالمعجزة عندهم أمر لا يخرج عن الطبيعة ، وترجع إلى أسباب طبيعية ، بل جارية على قانون طبيعي وهو أن الأنبياء لهم قوة النفس الفائقة التي تستطيع أن

---

(١) راجع، صـ٢١٩ : ٢٣٦ من هذا البحث .

(٢) شرح المقاصد التفتازاني، جـ ٢ ، ص ١٣٠ ، وقارن أصول الدين . البغدادي، ص ١٧٠ ، وراجع له أيضًا الفرق، بين الفرق ص ٣٦٦ ، وقارن المحصل للرازي، ص ٢٠٧ ، وقارن المواقف للإيجي، ص ٢٢٢ وغيرهم من المتكلمين .

(٣) انظر: الإشارات والتنبيهات، جـ٤ ، ص ١٥٥ ، ١٥٧ . تحقيق د / سليمان دنيا .

تؤثر في الطبيعة الخارجية ، وهذه النفس الفائقة تكون مصدر المعجزات الحسية عندهم ، وليست من فعل الله مباشرة . كما يرى المتكلمون . وهذا التفسير الطبيعي، الذي فهمه الفلاسفة مخالف لحقيقة المعجزة المعروفة في الإسلام ، بل يؤدي إلى إنكار المعجزة نفسها، وبذلك نجد أن التفسير الطبيعي في نظر الفلاسفة المسلمين يترتب عليه شبهات واعتراضات لا نهاية لها .

ولكن منشأ الخلاف بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين يكمن في المعجزات الحسية، وذلك يرجع إلى فكرة ارتباط السبب بالمسبب؛ لأن الفلاسفة – المسلمين – يعتقدون بأن ارتباط السبب بالمسبب ارتباط ضروري– وقد سبق توضيح ذلك–[١]، وذلك كما يعتقده أيضًا المتقدمون ؛ لأن كل مسبب لا يمكن انفصاله عن سببه حتى لا يؤدي إلى سفسطة، وذلك كما يرون من وجهة نظرهم .

ويقول ابن رشد في ذلك :" إن من رفع الأسباب فقد رفع العقل وإنكار وجود الأسباب الفاعلة التي تشاهد في المحسوسات قول سفسطائي "[٢] .

يلاحظ من كلام ابن رشد هنا أن المعجزات الحسية لا بد أن تجري حسب السنن الطبيعية التي لا يجوز أن تتخلف " .

بخلاف أكثر المتكلمين فإنهم يرون أن ارتباط السبب بالمسبب ليس ارتباطًا ضروريًا – كما بينت آنفًا – [٣]،

إنما هو ارتباط عادي يجوز أن يتخلف ، وذلك كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم[٤].

---

(١) راجع كتابنا المعجزات وعلاقاتها بالسببية .

(٢) تهافت التهافت، ابن رشد، جـ٢ ص٧٨٥ .

(٣) سبق ذكرها بالتفصيل في كتابنا (المعجزات وعلاقاتها بالسببية) .

(٤) سبق ذكر معجزة سيدنا إبراهيم بالتفصيل، راجع ص ١٦٥ : ١٧٥ من هذا الكتاب .

وهذا التفسير المادي الطبيعي للمعجزات من الفلاسفة المسلمين إنما يتصادم مع الشرع في كل قضاياه ؛ لأنه يبطل العناية الإلهية من التدخل في المعجزات، ويجعلها من الأمور العادية وليست خارقة لقوانين الطبيعة ، وإنما هي خارقة بالقياس إلى من لا يعرف تلك العلل .

ونلاحظ أيضًا أن ابن سينا يجرد العناية الإلهية من التدخل في معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، ويبتعد كل البعد عن وجهة نظر المتكلمين في معجزات الرسل فنراه يشير في إشاراته بأنها من قوى النفس حيث يقول : " وهذه القوة ربما كانت للنفس بحسب المزاج الأصلي الذي لها لما يفيده من هيئة نفسية .. "[1] .

ويبين لنا أيضًا ابن سينا : أن المعجزات والكرامات يمكن أن تكتسب عن طريق التقشف والمجاهدة ؛ لأنها أمور في نطاق الطبيعة ، وكأنه يقول إن الله ليس له دخل فيها ؛ لأنه يفسر القوة النفسية التي تستطيع التأثير في النفوس أو الأجسام بأنها ترجع هي الأخرى إلى أسباب طبيعية .

فابن سينا وكل الفلاسفة جانبوا الصواب في جعلهم المعجزة والكرامة شيئًا عاديًا طبيعيًّا.

أما المعجزة المعنوية كالقرآن فلا خلاف بينهم بأنه أعلى المعجزات كلها، وأنها الدليل الأساسي في إثبات نبوة سيدنا محمدﷺ وإثبات نبوة الأنبياء السابقين أيضًا وأنه من عند الله – تعالى – .

ولكنهم – الفلاسفة – أنكروا معجزة انشقاق القمر مستندين في ذلك إلى أن الأجرام العلوية لا يتأتى فيها الخرق والالتئام لملاءمتها ؛ ولأن الخرق هو افتراق الأجزاء ، والالتئام هو اقتران الأجزاء وكل من الاختراق والاقتران مقتضى للحركة،

(١) الإشارات والتنبيهات ، ابن سينا، ق ٣، ٤ ، ص ٨٩٧ .

والحركة في أجزاء الفلك سواء أكانت مستقيمة أم مستديرة مستحيلة كما بين في كتبهم فانشقاق القمر مستحيل .

الجواب عن هذه الشبهة :

نقول لهم قد ثبت عقلاً أن الله – تعالى – مختار في أفعاله ، يفعل ما يشاء فله أن يحدث انشقاقًا في القمر كما أنه يذهب نوره يوم القيامة وينفيه، فلا مانع عقلاً ولا استحالة، وحيث كان جائزًا عقلاً والقرآن دل على الوقوع ، والسنة أفادت ذلك، فالواجب الإيمان بأنه وقع[١].

* *

(١) راجع: تفسير الرازي، م ١٥ ، ص ٢٦ ،٢٧ ، ٢٩ .

الخاتمـة

إنـه لمـن المثمر والمفيد فـي نهايـة أي بحث ، أن نقف وقفة قصيرة لنتحدث بشيء من الإيجاز ، والاختصار عن النتائج التـي حققها ، وانتهى إليها ، وسوف أحاول أن أقف علـى النتائج الأساسية علـى كل موضوع من مواضيعه ، حتـى لا تكون النتـائج تكرارًا لمـا ذكرتـه فـي صلب موضـوع البحث ، بقدر مـا يمكننـا والله المستعان .

فعلى ضوء ما تقدم أستطيع أن أقول :

١- إذا أرسـل الله – تعـالى – رسـولاً إلـى خلقـه لا بـد وأن يؤيـده بـالمعجزة ، وكـل رسـول لـه من المعجزات مثـل مـا بـرع فيـه قومـه – وقد سبق تعريـف المعجزة وشرحها عند الفريقين متكلمين وفلاسفة في ثنايا البحث [(١)] .

٢- والمعجزة عند المتكلمين بعيدة كل البعد عن تـأويلات الفلاسفة والتـي لا تمت للواقع بصلة ، وذلك لأن هناك خلافًا أساسيًا بين المتكلمين وفلاسفة المسلمين فـي تأويل معجزات الأنبيـاء ، ففـى حين يـذهب المتكلمـون إلـى التسليم بهذه المعجـزات ، بوصـفها وقـائع خارقـة للعـادة ، ولا تجـري إلا بقـدرة الله وحـده ، يـذهب الفلاسفة إلـى محاولـة تأويلها ، استنادًا إلـى بعض المباحث النفسية ، فيرى الفارابي وابن سينا أنـه إذا كانت النفس القويـة تستطيع ممارسـة نوع من الفاعلية والتأثير على بدنها ، فليس ما يمنـع لدى أصحاب النفوس الملهمـة أن تتعدى قـوة تـأثير نفوسـهم حـدود البـدن لتمـارس نوعًـا مـن الفعاليـة علـى عـالم الأشياء ، وتبعًا لذلك أولوا معجزات الأنبياء بأنها نتاج فاعلية نفوسهم في عالم الأجسام والأدوات، وهذه النظرية فاشلة، لأنها تحاول أن تفسر المعجزة ، وهي أمر خارق للعادة تبعًا لبعض القوانين الطبيعية. وهذا يؤدي فـي نهايـة الأمـر إلى مفارقة منطقية .

---

(١) انظر: ص ١ : ٢١ من هذا البحث .

أما علماء الكلام فقد كانوا يصدرون في فهمهم لمعجزات الأنبياء من واقع النصوص الدينية التي أكدت أن هذه المعجزات لا تصنعها إلا إرادة الله وحده دون إرادة المخلوقات .

ولا شك أن فهم المتكلمين لطبيعة المعجزة أقرب كثيرًا من محاولة الفلاسفة لتفسيرها وفقًا لبعض القوانين السيكولوجية .

٣- اتفاق المتكلمين والفلاسفة على أن القرآن الكريم أعلى المعجزات كلها فهو لب الأدلة على صدق نبينا محمد ﷺ بل صدق نبوة الأنبياء السابقين .

٤- آراء المتكلمين في المعجزة موافقة لروح القرآن وإن لم يستخدموا نفس الألفاظ في القرآن الكريم ، أما الفلاسفة فإن آراءهم في المعجزة من حيث تفسير مصدرها مخالفة لآراء المتكلمين والقرآن الكريم (١) .

٥- المعجزة ليست من نوع المستحيل عقلاً (٢) .

٦- الآراء المتباينة، عند علماء الكلام ، حول تحديد وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، تُعد من الأمور الجدلية التي لا تفيد كثيرًا في هذا الشأن(٣).

وهذه الآراء ليست من الاختلافات التي تطعن في مضمون المعجزة ذاتها ، وإنما تدل على صدق الأنبياء والرسل أيما كان وجهها، بينما الفلاسفة يرون أن دلالة المعجزة على صدق الرسول دلالة عقلية – وقد فصلنا هذا الرأي في ثنايا البحث (٤) .

هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ، والتي يمكن أن أوجزها فيما يلي :

---

(١) راجع: ص ١: ١٠٣ من هذا البحث .

(٢) راجع: ص٧٣ : ١٠٣ من هذا البحث .

(٣) راجع: ص٧٧: ٩٩ من هذا البحث .

(٤) راجع: ص ١٠٠ : ١٠٣ من هذا البحث .

يتضح مما سبق لنا أن فلاسفة المسلمين يتفقون مع المتكلمين وعلماء الإسلام على أن المعجزة هي المنهج الأساسي في الاستدلال على صدق الأنبياء، سواء أكانت هذه المعجزة حسية أم معنوية ، بيد أن الفلاسفة وخاصة ابن رشد ، قد خص المعجزة الحسية أو البرانية ، كما يسميها هو لعامة الناس ، وأن المعجزة المعنوية تكون للخاصة والعامة ، بخلاف المتكلمين ، فلم يميزوا في ذلك بين الجمهور والخاصة . أما الخلاف الأساسي بين الفلاسفة والمتكلمين وعلماء الإسلام فهو في تفسير كل منهما للمعجزة وكيفية الحصول عليها .

* *

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم:أ

٢. الإرشاد : لإمام الحرمين الجويني (٤١٩ . ٤٧٨هـ) ، تحقيق: د/ محمد يوسف موسى ، علي عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي .

٣ـ الإشارات والتنبيهات ؛ لأبي على بن سينا مع شرح الطوسي . تحقيق: د/ سليمان دنيا القسمان ٣ ، ٤ ، دار المعارف ونسخة أخرى كل قسم على حدة .

٤ـ أصول الدين : للإمام الأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (المتوفى ٤٢٩هـ) . دار الكتب العلمية . بيروت ، ط الثالثة ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .

٥ـ أعلام النبوة : أبو الحسن على بن محمد الماوردي . مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩١هـ . ١٩٧١م ، ونسخة أخرى دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٦ـ الاقتصاد في الاعتقاد : للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي . المتوفى ٥٠٥هـ حققه الشيخ / محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي .

٧ـ أنبياء الله : الشيخ / محمد متولي الشعراوي . أخبار اليوم .

٨ـ المعجم الأوسط : للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى ٣٦٠هـ ، ط دار الحديث بالقاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م .

ت

٩. تحفة المريد على جوهرة التوحيد : الشيخ إبراهيم البيجوري المتوفى ١١٩٨هـ، ط الأخيرة، ط الحلبي .

١٠ـ التعريفات : السيد الشريف على بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني . تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة ط الأولى ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م . عالم الكتب ونسخة أخرى ط المطبعة الخيرية ط الأولى ١٣٠٦هـ .

١١. تفسير القرآن العظيم : للحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ . ٤ أجزاء (سوريا : حلب) مكتبة التراث الإسلامي ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م .

١٢. تهافت التهافت : للقاضي أبي الوليد محمد بن رشد المتوفى ٥٩٥هـ تحقيق: د/ سليمان دنيا ، دار المعارف . مصر ،ط أولى سنة ١٩٦٤ م، ط ثانية سنة ١٩٦٥م .

١٣ـ تهافت الفلاسفة : الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي . المتوفى سنة ٥٠٥هـ ط الثالثة، تحقيق د/ سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر .

١٤ . توضيح العقيدة : د/ عبد العزيز سيف النصر ، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٧٩م ، مصر .

ح

١٥ـ حاشية المواقف : للسيالكوتي ، الطبعة الأولى ، ١٢٢٥هـ – ١٩٠٧م ، مطبعة السعادة .

١٦ـ حواشي على شرح الكبرى للسنوسي على عمدة أهل التوحيد والتسديد شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للإمام عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني . ط مطبعة البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٦م، ١٣٥٤هـ، المؤلف إسماعيل بن موسى الحامدي .

د

١٧ـ دلائل النبوة : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ٣٨٤هـ . ٤٥٨هـ ، ط أولى، دار الريان، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .

١٨ـ دلائل النبوة ومعجزات الرسول، د/ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، ط الأولى، ١٤١١هـ. ١٩٩١م. دار الكتاب المصري اللبناني.
١٩. دلائل النبوة : للحافظ الكبير الشهير أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، توفى في العشرين من محرم سنة ثلاثين وأربعمائة هجريًا . مكتبة المتنبي . القاهرة ، بدون تاريخ .
٢٠ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي ، ٦ مجلدات ، دار المعرفة للطباعة والنشر . بيروت . لبنان .

ذ

٢١. ذكرى العاقل وتنبيه الغافل : للأمير عبد القادر الجزائري . تحقيق وتقديم: د/ ممدوح حقي . مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع .

ر

٢٢. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا : صححها خير الدين الزركلي . المكتبة التجارية ١٣٤٧هـ. ١٩٢٨م .
٢٣ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني العلامة الألوسي البغدادي . الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان .
٢٤ـ رياض الصالحين : للإمام النووي، تحقيق: الألباني، ط الثالثة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .

س

٢٥. سنن ابن ماجه : الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد بن قزوين "ابن ماجه" ط عيسى الحلبي، تحقيق محمد عبد الباقي .

٢٦ـ سنن الترمذي: محمد بن سورة أبو عيسى الترمذي ط مصطفى الحلبي ـ تحقيق: إبراهيم عطوة .

٢٧ـ سير أعلام النبلاء : للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ط مؤسسة الرسالة . الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م . تحقيق: شعيب الأرنؤط .

٢٨ـ السيرة النبوية : أبو الوليد عبد الملك بن هشام . توفى ٢١٣هـ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، ط الثانية . مصر ، مطبعة الحلبي ١٣٧٥هـ . ١٩٥٥م ، وطبعة أخرى تعليق طه عبد الرءوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية .

٢٩ . السنوسية الكبرى : عبد الله محمد بن يوسف السنوسي.

ش

٣٠ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي (المتوفى سنة ١٠٨٩هـ) ، ط دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م .

٣١. شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن الخليل الهمذاني– حققه وقدم له د/ عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة عابدين ط الثالثة، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م .

٣٢ـ شرح نصوص الحكم : للفارابي ، الأستانة، المطبعة المعاصرة، ١٣٩٠هـ . ١٩٧١م .

٣٣ . شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازاني . تحقيق: د/أحمد حجازي، السقا . مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .

٣٤ـ شرح العقيدة الطحاوية : علي محمد أبو العز، مطبعة الامتياز، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣٥. شرح الإرشاد : أبي بكر بن ميمون . تحقيق د/ أحمد حجازي السقا . الناشر مكتبة الأنجلو المصرية بمصر . طبعة ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .

٣٦ـ شرح المقاصد : سعد الدين عمر التفتازاني ، مصر : دار الطباعة العامرة ١٩٧٧م .

٣٧ـ شرح المواقف : للمحقق / السيد الشريف على بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ ، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ . ١٩٠٧م . مطبعة السعادة، ونسخة أخرى دار الطباعة المعاصرة جـ ٣ مصر .

٣٨. شرح تهذيب الكلام : سعد الدين التفتازاني .

ص

٣٩ـ صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج . ط عيسى الحلبي . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .

ط

٤٠ـ طبقات السبكي الشافعية الكبرى : تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب عبد الكافي السبكي، تحقيق / محمود محمد الطناجي، ط أولى مصر، مطبعة الحلبي ١٣٨٣هـ . ١٩٦٤م .

غ

٤١. غاية المرام في علم الكلام : سيف الدين أبو الحسن على الآمدي، تحقيق د/ حسن عبد اللطيف، ١٣٩١هـ . ١٩٧١م .

٤٢ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان : تأليف : نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسين النيسابوري، تحقيق الشيخ / إبراهيم عطوة، ١٠ مجلدات طبعة أولى، القاهرة : طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ . ١٩٦٢م .

ف

٤٣ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام أبي عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزية البخاري الجعفي، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٠١هـ . ١٩٨١م ، وشرح البخاري لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد .

٤٤ـ الفرق بين الفرق : أبو منصور البغدادي، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ونسخة أخرى، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد . مكتبة دار التراث.

٤٥ـ فصوص الحكم : الفارابي ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ١٣٤٥هـ .

٤٦ـ الفقه الأكبر : أبي حنيفة النعمان بن ثابت . دار الكتب العلمية . بيروت ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م .

ك

٤٧ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل : لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ . ٥٣٨هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر بدون تاريخ ، ومعه حاشية السيد الشريف على بن محمد بن علي السيد الجرجاني . ٢ . كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال: للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندري المالكي.

ل

٤٨. لسان العرب : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرمة بن منظور ، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً، ومزيلة بفهارس مفصلة ، ط دار المعارف .

م

٤٩ـ محاضرات في النصرانية : الشيخ / محمد أبو زهرة ، ط الثانية ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م ، دار الفكر العربي، ونسخة أخرى، ط ثالثة ١٣٨١هـ . ١٩٦١م .

٥٠. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ويذيله كتاب تلخيص المحصل للعلامة نصير الدين الطوسي : فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، قدم له / طه عبد الرءوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية بدون .

٥١ـ مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي عُني بترتيبه محمود خاطر بك ، ط الثالثة القاهرة، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٥٦هـ . ١٩٣٨م .

٥٢. المستدرك على الصحيح في الحديث : للإمام أبو عبد الله محمد النيسابوري المعروف بالحكام ، النصر الحديثة ، ونسخة أخرى ط دار المعرفة، بيروت.

٥٣ـ المسند : للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، ط بيروت ، لبنان ، ونسخة أخرى ، مطبعة المكتب الإسلامي ١٣٩٨هـ .

٥٤. المعجزة الكبرى القرآن : محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي .

٥٥. المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، ط / دار الكتاب اللبناني، بيروت .

٥٦ـ معجم المؤلفين : تراجم مضيفي الكتب العربية " : عمر كحالة ، ط الترقي بدمشق، ١٣٧٦هـ . ١٩٥٧م .

٥٧. المغنى في أبواب التوحيد والعدل جزء (١٥)، التنبؤات والمعجزات : القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: د/ محمود الخضيري وآخرين، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة ١٩٦٥م .

٥٨. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير : للإمام فخر الدين الرازي (١٧) مجلد ، ط أولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤١١هـ . ١٩٩٠م .

٥٩ـ مناهج الأدلة في عقائد الملة : أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، ت ٥٩٥هـ . تحقيق: د/ محمود قاسم، ط الثانية ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م .

٦٠. من العقيدة إلى الثورة م٤ النبوة . المعاد : د / حسن حنفي . مكتبة مدبولي ، بدون .

٦١. المواقف في علم الكلام : عضد الدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦هـ) ، ط الأولى، ١٣٢٥هـ . ١٩٠٧م ، مطبعة السعادة ، ونسخة أخرى مجردة . مكتبة المتنبي .

٦٢. موقف الإسلام من الفلسفة : د/ عبد العزيز سيف النصر، ١٤١٦هـ .

٦٣ـ موقف المشائية الإسلامية من النص الديني : د/ إنشاد محمد علي . مكتبة شقرون ، بدون .

ن

٦٤. النبوات والسمعيات من مباحث علم الكلام : د / محي الدين أحمد الصافي، مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون .

٦٥. النبوة بين المتكلمين والفلاسفة : د/ عبد الفتاح أحمد الفاوي ، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة . دار العلوم سنة ١٩٧٨م .

٦٦ـ النبوة والتنبؤ : د / طه الدسوقي حبيش، ط الأولى، ١٤١١هـ . ١٩٩٠م، مطبعة الفجر الجديد، مكتبة رشوان .

٦٧. نظرية السببية :د / عبد العزيز سيف النصر، ١٩٨٤م .

٦٨ـ نهاية الأقدام في علم الكلام : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، صححه الفرد جيوم .

ى

٦٩ـــ اليواقيت والجواهر : عبد الوهاب الشعراني، ط الأخيرة، سنة ١٣٧٨هـ . ١٩٥٩م، مطبعة الحلبي بمصر .

* * *